جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

موقف الوضعية من الغيب عرضًا ومناقشة

الدكتورة
أمنية محمد محمد النسر
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

العدد السابع عشر
للعام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م
الجزء الرابع
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٣م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾

صدق الله العظيم

سورة الإسراء: الآية (٨٠)

المقدمة

الحمد لله خلق الخلق وهو أعلم بهم، وأرسل المرسلين حتى يوجههم إلى ما فيه الخير لهم، قال تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله خلق الكون كله، وجعل أدلة وجوده ثابتة فيه، كل شيء في الكون يدل على أنه خالقه ومدبره، ويعلم ما يجري فيه، وكل ما في الكون يسبح بحمده ويشكر نعمته، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمد ﷺ عبده ورسوله، خير من صلى وأناب، واستغفر ربه فأزال عنه الحجاب، ودعاه لمحبته فكان فوق القباب، وناداه بأعلى مراتب القرب نداء الأحباب، وجعل له المنزلة العليا بغير أسباب.

اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد ﷺ نور الأنوار، ورحمة الغفار، وأرض الله عن أصحابه الأبرار وآل بيته الأطهار، فاتباعه العلماء ذوي الأقدار، وأكرم اللهم والدينا وأهلينا وذرياتنا وأجعلهم في كنفك عالم الأسرار إلى يوم القيامة.

أما بعد،،

فإن الله تعالى خلق العقل مزودًا بطاقة إيمانية، وأناره بأنوار من الفطرة الإلهية، وحثه على السير في هذه الطرائق التي يبتغي من ورائها الخير في الدنيا، ويلتمس السعادة الأخروية.

غير أن بعض العقول تمكنت من أصحابها، واندفعت به شياطينهم إلى العقيدة الإلهية، فحاولوا أن يضعوا ما يماثلها من أفكار إنسانية، اتخذوها وسائل

---

(١) النساء: الآية (١٦٥).
(٢) الإسراء: الآية (٤٤).

لتحقيق أهداف شيطانية، فكفروا بالله وصفاته وأعلنوا تمسكهم بما أطلقوا عليه القواعد العلمية، وكان الوضعية من هذا الفريق الذين عمدوا إلى تناول العقيدة الإيمانية، والطعن فيها، ومحاولة النيل منها، فكان لابد من وقفه شرعية تضع الأمور في نصابها وترد عليها، كما تبعد شبح أولئك الذين يعتقدون فيهم عن الأصول الدينية، ومن ثم كان اختياري لدراسة هذا البحث، وجعلته بعنوان: (**موقف الوضعية من الغيب.. عرضًا ومناقشة**).

وهذا البحث قد استغرق خطوات، أذكر منها:

أولاً ــ أسباب اختيار الموضوع:

١ــ أن الغيب من الأمور العقدية والإيمان به ضرورة شرعية، ومن ثم فإذا برز في الطريق من ينازع في هذه الحقيقة كانت مواجهته من الأمور الشرعية، بل من الواجبات التي ينتدب إليها أصحاب العقول ذات الصبغة الاستدلالية.

٢ــ أن الوضعية لجأوا إلى إنكار تلك الحقيقة الإيمانية، واستغلوا القواعد العلمية، واعتبروها وسائل يهجموا من خلالها على العقيدة الإلهية، وهم يعلمون سلفًا النيل من دين الإسلام قد يعينهم على الإلحاد وانتشار المدارس الإلحادية، وبذلك يتحول الناس عن دين رب البرية إلى أديان أخرى.

٣ــ أن الوضعية حينما احتكموا إلى العقل تناسوا أن العقل له أحكام يقينية فيما هو تحت سلطانه، أما ما وراء ذلك فليس للعقل فيه أدنى حيلة عقلية، وقد فاتهم التركيز على تلك الحقيقة فانطلقوا إلى النصوص الدينية ينكرونها ويعملون على اقتنائها عن طريق التأويلات البعيدة عن الموضوعية، فجمعوا على أمور كثيرة دل على أنهم جماعة تفكر بطريقة غير علمية.

٤ــ أن الوضعية لجأوا إلى الغيب لا على سبيل الإيمان به، ولا الإمساك عليه، وإنما راحوا يطعنون عليه وينكرون قضاياه، ثم يعلنون عدم وجوده فجمعوا بين جملة من الجرائم، ويعلم الله أنهم كفروا به.

٥ــ أن قضايا الغيب متسعة وكل ما غاب عن الحواس ولم تدركه بداهة عقول الناس، وما دل عليه دليل من الناس فإنه يدخل في الغيب، من غير التباس،

ولذا كان اهتمام الوضعية بالتشكيك في الغيب من باب أنه الألوهية من موضوعاته، وكذلك الحال مع الروح، واليوم الآخر. ومتى أمكن الرد على هؤلاء فقد تم تقديم خدمة شرعية لدين رب البرية.

٦ـ أن هذا الموضوع لم تسبق دراسته ـ حسب علم الباحث ـ في دراسة جامعية أو بحث أكاديمي أو محاضرة علمية، وبالتالي فالمكتبة العربية بحاجة لمثل هذه الدراسة لتقدم جانبًا مهمًا يغطي هذا القصور في المكتبة العلمية.

ثانيًا ـ منهجي في الدراسة:

المعروف أن كل بحث علمي يستخدم المنهج الذي يستطيع توظيفه في موضوع بحثه على ناحية قصدية تبلغ به الغاية متصل معه إلى نتائج علمية، وبناءً عليه فإن المنهج الذي استخدمه هو المنهج المتكامل من حيث إنه يجمع بين جنباته كلاً من المنهج التاريخي الاسترادادي، والمنهج الوصفي التقريري، كما يجمع بين منهج العرض والمناقشة باعتبار أن هذه الجوانب يجب الوفاء بها، ومتى أمكن الوقوف على تلك الحقيقة من الناحية المنهجية استطعت صياغة القضايا المنبثة في صلب هذا البحث في صور توافقية، وهو ما سيراه القارئ في هذا البحث قد طوى في صفحاته من الناحية المعرفية.

ثالثًا ـ إشكاليات البحث:

تتعدد تلك الإشكاليات بين أفكار تصادمية، متى أمكن الوقوف عليها بانت حقيقتها، وأنها تخالف العقيدة الإسلامية، وبين مناهج متنوعة بعضها انسلخ من طبيعته من غير خطوات سابقة عليه، ومن ثم فإن هذه الإشكاليات تدور فيما يلي:

١ـ الوسيلة التخاطبية:

المعروف أن تلك الأفكار الوضعية قد انتشرت في الغرب باللغة التي يتعاملون معها سواء أكانت تستلزم الطريقة العلمية، أم تخالفها، المهم أنها بلغة ليست عربية، وتم ترجمتها إلى البيئة العربية عن طريق تراجم قاموسية تجعل المفردات كالأحجار خالية من روح البحث، وتلك مشكلة يقع فيها الكثيرون من المترجمين عندما يضعون نصب أعينهم الواقعية التي ينظرون منها وينقلون

عنها، والمعروف أن الترجمة القاموسية تجعل النص جامد مفتقد الحس، وهو الذي يُبنى عليه من آراء كثيرة على قواعد غير صحيحة.

٢ـ الكتب المترجمة:

أن هذه الكتب المترجمة بعضها تمت ترجمته بأيدي خصوم الوضعية، فمن يضمن لهم أنهم كانوا مجردين عن الهوى، فما تدلى به النصوص الدينية، أو المترجمات التي وصلت إلينا كما يري أصحابها من ترجمتها، وبناء عليه فإن أغلب الذين تناولوا الوضعية لم يكونوا يملكون زمام اللغة المنقول منها، والمنقول إليها، وذلك مما يمثل صورة منقوصة للفكر نفسه.

رابعًا ــ الأهداف والغايات:

تتمثل الأهداف في جملة ما يسعى إليه الباحث حتى يقدم نفسه للآخر معلنًا إمكانية الوصول إلى الأهداف والغايات الأصلية، ومن المعروف أن كل هدف لا بد له من وسيلة تسبقه وثمرة تتمه. وبناء عليه فإن أهداف هذا البحث تدور فيما يلي:

١ــ التأكيد على أن الدين الإسلامي لا يعادي أحدًا، والموضوعية هي العنوان الثابت لدى جميع الباحثين من ذوي الفكر الإسلامي.

٢ــ إبراز أن الوضعية في الغرب وإن نالت حظها من الدراسة، إلا أنها افتقدت التنظيم الدقيق لتلك الدراسة، وهو ما يعني ضرورة السعي المتواصل لاستحداث نتائج جديدة تكون عوضًا عما سلفت.

٣ــ الدفاع عن دين الله بغض النظر عن من الذي يسمع أو من ذا الذي يجيب.

خامسًا ــ مكونات الدراســـــة:

تدور هذه الدراسة من مقدمة تتضمن:

أ) أسباب اختيار الموضوع. ب) منهج الدراسة.

ج) إشكاليات البحث. د) الأهداف والغايات.

هـ) مكونات الدراسة:

- **المبحث الأول** : الوضعية بين المفهوم والتنوع.
- **المبحث الثاني** : موقف الوضعية من وجود الله.
- **المبحث الثالث** : موقف الوضعية من قضيتي الروح، والخلود.
- **الخاتمة:** وتتضمن:

١ــ أهم النتائج. ٢ــ أبرز التوصيات.

٣ــ أهم المقترحات.

- **أهم المصادر والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

والله أسأل السداد والخير إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
الوضعية بين المفهوم والتنوع

وردت مادة الكلمة (ـ و.ض.ع ـ) في القرآن الكريم حوالي سبع عشرة مرة تقريباً[١]، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[٣].

أولاً ـ مفهوم الوضعية:

أ) في اللغة:

كذلك وردت مادة الكلمة في لغة العرب على العديد من المعاني، وبناءً عليه تكاثرت الأقوال حولها، والدارس العلمي يُعنَي بمتابعة هذه الجوانب من النواحي المتعددة، أبرزها:

١ـ الإنزال في الدرجة:

تقول العرب وضع الرجل خصمه، بمعنى حط من قدره، لعجزه عن دفع ما عليه من ديون من مستحقات ضرب له موعدها في تاريخ سبق[٤].

وعلاقة هذا المعنى بالوضعية أنهم ينزلون أنفسهم منازل ليست لهم، ويحطون من أقدارهم، وكان من الواجب لهم أن يعلو بالإنسان، على عكس ما وقعوا فيه؛ لأن الله خلق الإنسان مكرمًا عنده، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٥].

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص٧٥٢، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) الرحمن: الآية (٧).

(٣) آل عمران: من الآية (٣٦).

(٤) قطر المحيط، المعلم بطرس البستاني، باب الواو، ص٥١٢، ط بيروت.

(٥) الإسراء: الآية (٧٠).

يقول الزمخشري: "لقد كرم الله بني آدم بالعقل والنطق والتمييز، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، كما سلطهم على ما في الأرض وسخره لهم"(١).

يدل ما سبق على كون الإنسان مختلفًا ومخصوصًا من عند الله بمزيد التكريم، والتفضيل(٢).

٢ـ الانتقاص مما هو ثابت:

ذكرت مصادر اللغة العربية قولها حط فلان عن مدينه جزءًا مما كان له، وأنقصه بعض مما كان عليه، لا من باب تحقيره، ولا من باب التيسير عليه، وإنما من باب أنه عاجز عن القيام به(٣). وعلاقة هذا المعنى بالوضعية أنهم يحاولون إنزال النصوص الشرعية من منزلتها السامية إلى أخرى، ويتعاملون معها من غير إدراك، ذلك أوقعهم في الخطأ لمعانيها، فتكون مشكلة فيهم لا في النصوص الشرعية ذاتها.

٣ـ الإهمال:

قالت العرب: وضعت الرجل عن نفسه أحمالها، فصارت بعيدة عنه، ولم يلتفت لها، فوقع بين الإلقاء والإهمال(٤). وعلاقة الوضعية بهذا المعنى هي أنهم

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، ج٢، ص٦٨٠، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.

(٢) هناك فرق بين التكريم والتفضيل وإلا لزم التكرار في الآية، فيقول الرازي: "إنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والقامة المديدة، ثم إنه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقه والأخلاق الفاضلة، فالأول هو التكريم، والثاني هو التفضيل. راجع: مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت:٦٠٦هـ)، ج٢١، ص٣٧٥، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت" الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٣) أساس البلاغة، الزمخشري، باب الواو، ص٤١٥، ط الشعب، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، باب العين، فصل الواو، وما يثالثهما، ج٤، ص٢١٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن الفارس، ص٤١٥، ط بيروت، أساس البلاغة، الزمخشري، ج٢، ص٣٤١، الصحاح، الجوهري، ص٧٢٥.

تخلوا عن أصول دينهم، وأهملوا شرع ربهم، وألقوا ما فطرهم الله في فطرهم، فصاروا مجادلين فيها منكرين لها، وكان الواجب عليهم التمسك بها.

٤ـ الاختلاق غير المبرر:

قالت العرب: وضع الرجل الكلام على غير وجه صحيح، يريدون أنه اختلقه من أصله، فلم يسبق له وجود(١). وكان الكافرون يصفون التوحيد الذي أتاهم به النبي ﷺ بأنه اختلاق وأساطير، فقالوا فيما حكاهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾(٢).

وجاء في أنوار التنزيل عندما (أنكر المشركون ما جاء به ﷺ من التوحيد وما نفاه من الشركاء لله فقالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا وقصرها على الله سبحانه، فما سمعنا بهذا الذي يقوله له محمد في الملة الآخرة التي أدركنا عليها آباءنا، ولا في ملة عيسى عليه السلام، فإن النصارى يثلثون، وما التوحيد إلا كذب اختلقه محمد ﷺ وافتراه من نفسه)(٣).

٥ـ الخسارة:

قالت العرب: وضع الرجل في تجارته، يقصدون أنه خسر رأس المال، ولم يأته شيء من ربح كان ينتظره(٤). وعلاقة هذا المعنى بالوضعية أن الوضعية يخرجون بأفكارهم على دين رب البرية، فإنهم بذلك يخسرون الدنيا والآخرة؛ لأن رأس مال الرجل الواعي هو التجارة الصالحة مع الله تعالى، يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ

(١) راجع: الصحاح، العلامة الجوهري، ص٧٢٥، القطر المحيط، البستاني، ص٥١٢.
(٢) ص: الآية (٧).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ج٥، ص٢٤، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، وراجع: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد عبدالله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، مجلد الرابع، ص٤٨٣، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
(٤) راجع: تهذيب اللغة، العلامة الأزهري، حرف الواو، ص٦١٧، وراجع: الصحاح، ص٧٢٥.

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

تدل الآيات الكريمة على وصية وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة يحصل بها النجاة من العذاب الأليم والفوز بالنعيم المقيم. فيقول السعدي: "إن الإيمان التام والتصديق بما أمر الله به، وبذل النفس لمصادمة الأعداء، لنصر دين الله، وإنفاق ما تيسر من الأموال، فإن هذه التجارة فيها ثواب دنيوي وهو النصر من الله للمؤمنين على الأعداء، ويحصل به العز والفرح، كما يجلب الرزق الواسع، وأيضًا تلك التجارة تعود بربح في الآخرة وذلك بالفوز بثواب الله، والنجاة من عقابه، ويكفّر الذنوب ولو كانت من الكبائر، ثم يُدخل الرابح جنة الخلد، وفيها ما لا يأتي عليه وصف الواصفين ولا خطر على قلب أحد من العالمين"[2].

وبناء عليه فالخسارة كل الخسارة لمن ينكر ويجحد ما جاء من عند الله ورسوله، والفوز الذي لا فوز مثله لمن نصر دين الله وتعلم كتاب الله وسنه رسوله، وحث عليها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦ـ الإضافة غير المبررة:

تقول العرب: وضع الرجل ما لم يأته به خبر صحيح، يقصدون أنه أضاف إلى ما ذكر ما ليس له دليل به[3]. وعلاقة هذا المعنى بالوضعية هو أنهم لم يكتفوا بالنصوص الشرعية، وإنما قاموا عليها إهمالاً لأصولها، وزيادة عليها،

---

(١) الصف: الآيات (١٠ــ١٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن السعدي (ت:١٣٧٦هـ)، ج١، ص٨٦٠، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

(٣) مقاييس اللغة، ص٧١٥، مختار الصحاح، زين الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالقادر الحنفي الرازي، ط بيروت، ١٤٢٠هـ ــ١٩٩٩م، حرف الواو، ص٣٤١، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي، ج٢، ص٢٩٣، حرف الواو.

فأكنهم وقعوا في أمريين كلاهما أسوأ من الآخر: الأول إهمال النصوص التي يجب أن تبقى في مكانها الصحيح، والثاني الزيادة على النصوص، وقد نهى الله عنها.

من جملة تلك المعاني يمكن القول بأن الوضعية من ناحية اللغة، هم الذين ينزلون شرع الله من قدره وينتقصون حقه ويهملون ما جاء به، ثم يختلقون نصوص أخرى، فيعملون على التمسك بها، فالخسارة لهم فقد وقعوا في تزيين العقل والهوى بعيدًا عن نصوص الشرع، وما جاء من رب القوى(١)، فهم بهذا يكونون قد وقعوا ضمن قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(٢). هذه الآية خاصة بأهل الأهواء والبدع معجبين بأفكارهم واثقين أنهم على صواب لا يصدر عنهم الخطأ، فالواحد منهم حسن في عين نفسه، لا مجال فيه للنقد ولا موضع فيه للنقصان، وهذا هو الضلال الذي زينه له شيطانه.

جاء في ظلال القرآن: "إن الذي يكتب الله له الهدى والخير يضع في قلبه الحساسية والحذر والتلفت والحساب، فلا يأمن مكر الله، ولا يأمن تقلب قلبه، ولا

---

(١) هذه المفاهيم صغت منها ذلك التعريف على ناحية لغوية، وهو الذي وفقني الله تعالى إليه، فإن يكن هناك من وفق إلى غيره فليحمد الله؛ لن ذلك من أقسامه، وأقسام الله لا حدود لها، وأفضاله لا تحصى؛ لأنها من نعمه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ "إبراهيم: من الآية (٣٤)". يقول ابن كثير: "يعدد الله تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السماوات سقفًا محفوظًا، والأرض فراشًا، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجًا من نبات شتى، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر، رزقًا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع".

راجع: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، (ت:٧٧٤هـ)، ج٤، ص٥١١، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ــ١٩٩٩م.

وعلى هذا فإن نعم الله علينا لا تعد ولا تحصى وأقسامها عظيمة، ومهما أتعب الإنسان نفسه في القيام بالطاعات والعبادات وبالغ في شكر نعم الله، فإنه يكون مقصرًا، فنأمل من الله الغفور الرحيم أن يرحمنا بفضله علينا بالمغفرة.

(٢) فاطر: الآية (٨).

يأمن الخطأ والزلل، دائم الحذر من الشيطان، دائم التطلع لعون الله، أما من كتب الله عليه الضلالة مستحقًا لها بما زين له الشيطان من سوء عمله هذا هو الغرور، هذا هو الستار الذي يعمي قلبه وعينه فلا يرى مخاطر الطريق، ولا يحسن عملاً؛ لأنه مطمئن إلى حسن عمله،وهو سوء ولا يصلح خطأ؛ لأنه واثق أنه لا يخطئ، ولا يقف عند حد؛ لأن يحسب أن كل خطوة من خطواته إصلاح إنه باب الشر ونافذة السوء ومفتاح الضلال"[١].

ب) في الاصطلاح:

وردت الوضعية في الاصطلاح على نواح كثيرة، بعضها تعلق بالوضعية المنطقية، وربما كانت أكثر الأنواع شهرة في محيطنا العربي، وبعض آخر تعلق بالوضعية الاجتماعية باعتبار أنها تمثل وجهة تأليه المجتمع بأكمله[٢].

وبعضها تعلق بالوضعية الطبيعية وبخاصة لدى أولئك الذين يألهون الطبيعة ويعتقدون عدم القدرة على الخروج عنها[٣]، فمن الطبيعة يخرج كل شيء منها، فهي سبب لإحداث أي حدث، وهي نتيجة لكل عمل ما.

وبعضها تعلق بالوضعية الأنثروبولوجية نظرًا لارتباطها بالدراسات السكانية، وأثرها من الناحية البشرية[٤]، ومعارفنا الإنسانية.

ولا يخفى أن هذه الأنواع يحتاج كل منها تعريفًا يميزه عن غيره لما هو معروف لدى المناطقة من أن التعريف هو الذي يميز المعرف عن جميع ما سواه، سواء أكان التعريف بالذاتيات ــ الحد التام، والحد الناقص ــ، أو بالعرضيات ــ

(١) في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب إبراهيم حسين، ج٥، ص٢٩٢٧، ط دار الشروق.
(٢) راجع: الوضعية في صورها المعرفية،أ.ج بايتي أندرسون، ص٧١، ترجمة:راشد زكريا، ط دار النهر الخالد١٩٨٤م.
(٣) الوضعية قديمًا وحديثًا، ص٥١، ترجمة: ناهد محمد صبري، ط دار الكرنك ١٩٧٥م.
(٤) الاتجاه الوضعي في العالم المعاصر، أ.ج روبرت بنسون، ص٧٤، ترجمة: السيد صقر، ط الجبل ١٩٧٦م.

الرسم التام، والرسم الناقص[١]، لإيضاح شيء مبهم وهو من مقاصد التصورات المنطقية.

وسوف أقدم نموذجين من التعاريف، بهما تتضح الوضعية على الجوانب المتعددة، ثم أقدم بعض التعاريف لكل واحدة منها على جانب الاستقلال.

المجموعة الأولى ــ التعاريف العامة (الجماعية)(٢):

١ــ الوضعية اتجاه فكري يسعى لتبرير المواقف التي يتبناها عن طريق هدم الأصول القائمة، والتخلي عنها، فيكون جامع بين أمرين كلاهما بعيد عن الآخر[٣]، حتى يمكن التعامل معها على أنها توجه من التوجهات القائمة، لكنها لا تقدم نفعًا يحسب لها.

٢ــ مذهب فلسفي يسعى للتأكيد على أن الفكر الإنساني له دور بارز في دراسة الظواهر الواقعية المحاسة دون اعتبار لشيء خلقها[٤]. وهذا الاعتبار المتروك لديهم، وهو المتعلق بالغيب، ولذا فهم ينكرون الغيبيات أيًا كانت صورها رغم صحة ثبوتها، والشهادة على من ينكرها.

٣ــ الوضعية اتجاه في فهم الظواهر الطبيعية يقوم على الاعتداد بالقدرات الوضعية وحدها مع الاستعانة بنتائج العقل المعرفي دون التفات لشيء وراء ذلك، حتى لو كان هذا الشيء أصول الدين نفسه[٥]. وبهذا يعلن الوضعية

---

(١) راجع: المرشد السليم، د. عوض الله حجازي، المدخل إلى المنطق الصوري، د/ محمد مهران رشوان، ط دار قباء للنشر والتوزيع بالقاهرة، المنطق التوجيهي، د/ أبو العلا العفيفي، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨م.

(٢) أردت تقديم بعض التعاريف الجماعية حتى تكون بيد المطالع لهذا البحث، فتنال منه القبول على ناحية تنظيمية، وأخرى تنظيرية، وأخرى تعريفة، وعلى الله قصد السبيل.

(٣) الوضعية في مراحلها الأولى، أ.ب بارتمي، ص١٥، ترجمة: رمزي صبحي، بيروت ١٩٦٧م.

(٤) الاتجاه الوضعي، أ.ج بوبرت بنسون، ص٤١، ترجمة: صلاح فضل، ط دار الحرية ١٩٧٧م.

(٥) الوضعية الأصول والغايات، جورج هايد ثورك، ص٧٣، ٧٤، ترجمة: رمزي صبحي ١٩٦٩م.

اعتقادهم في الظواهر الطبيعية فقط، واعتبارها التي يمكن الأخذ بها وتقديسها، وإهمال ما عداها، حتى ولو كانت نصوص الكتاب المقدس الذي ينتمون إليه.

من جملة تلك التعاريف تبدوا نظرة إلى الطبيعة والفكر الفلسفي، والاعتداد بهما بعيدًا عن سلطة الدين والنصوص الشرعية.

٤ــ الوضعية حركة غايتها دراسة الظواهر الطبيعية الواقعية دون سواها، ومعرفة العلاقات المتبادلة بين تلك الظواهر وصولاً إلى تلك القوانين العلمية التي تحكمها وتربط بعضها ببعض بعيدًا عن الأساطير(١).

من البين أن هذا التعريف يقيم الوضعية فيه بعيدًا عن التفسيرات التي يعتبرونها خرافية، والعلاقات القائمة داخل إطار الظواهر الطبيعية، وهي بذلك تهمل النقل المنزل، ويزعم أفرادها اعتنائهم بدراسة الظواهر الطبيعية وحدها.

٥ــ إنها منهج بحثي يقوم بدراسة موضوعات غير داخلة في نطاق الدين، ويمكن تفسيرها من خلال الوقائع الثابتة التي تحكمها الفيزياء الحيوية وقوانينها الآلية(٢).

وهذا التعريف يؤكد نزعة قائمة داخل الفكر الغربي، الذي يناهض قضايا الدين ويعتبرها بعيدًا عن الواقع، وينظر للمسيحية على أنها دين لا تقدمه معطيات علمية، ولا تدعمه قوانين رياضية، ولا مبادئ فيزيائية.

٦ــ الوضعية اتجاه عقلي بعيد كل البعد عن القواعد المعمول بها في القضايا العلمية، ويهدف إلى الطعن على الثوابت تحت أي مسمى التي يسعى نحوها ويؤكد عليها(١).

---

(١) راجع: الاتجاه الوضعي، ص٤١، وراجع: الوضعية في مراحلها الأولى، ص٢٣.

(٢) الوضعية ــ الأهداف والغايات ــ، جيمس بلانت، ص٨، ترجمة: هناء رشدي، ط دار الجيل، بيروت ١٩٨٧م.

والوضعية بهذا المعنى لا ترمي إلى التصديق بما هو بعيد عن المحسوسات إنها أقامت كافة بناءاتها على المحسوس، واعتبرت ما يقابله وليد الأساطير والخرافات.

وبناءً عليه فإنهم لا يعتقدون في شيء معرفي سوى ما يجئ به الحس، أو يقوم داخل التجربة العقلية. ومن ثم فلا مكان عندهم في الوحي الإلهي، ولا الحدس القلبي أو الإلهام الروحي والوجداني، وهم بهذا يخالفون أبسط القواعد العلمية، كما أنهم يناقضون الاتجاهات العلمية فضلاً عن إنكارهم للدين، وما جاء من عند الله العظيم(٢).

ومن الملاحظ أن التعريفات للوضعية ليست حدية(٣)، بمعنى أنها لا تقوم على الحد التام أو الحد الناقص من حيث إنها لا جنس لها ولا فصل، وإنها تقوم على التعاريف الناقصة وهو ما يعرف بالرسم.

وحيث قد عرضت لتلك التعاريف من الناجية الجماعية، فإني سأحاول ربط التعاريف الخاصة لكل نوع من أنواع الوضعية على النحو التالي:

ثانيًا ـ أنواعها:

الدارسون للوضعية يرون إمكانية الحديث عن أنواعها بالاعتبارات المختلفة، إذ أن بعضهم نظر إليها من ناحية الطبيعة، وبعضهم نظر من ناحية الوظيفة، وبعضهم اتجه إلى القضايا التي يتداولونها.

---

(١) الوضعية في مراحلها الأولى، د. محمد سيد صقر، ص٣٤، ط الأولى، مكتبة رشدي ١٩٥٧م.

(٢) قد تكون غايتهم النيل من الدين المسيحي، واسترداد كرامتهم من رجال اللاهوت الذين أذاقوهم العذاب، وجعلوا محاكم التفتيش تنال منهم على كل ناحية، ولكن هذا ليس عذرًا لهم؛ لن إنكارهم أنصب في ظاهره على كافة الديانات الإلهية على وجه العموم.

(٣) التعاريف الحدية تكون أكمل لأنها تُعنَي بالمعرف في ذاته، وتكون أوفى بالمطلوب، أما التعريف بالرسم فإنها تكون بحاجة إلى المزيد من الإضافات، ولذا اعتبر المناطقة التعريف بالرسم تاليًا التعريف بالحد، وليس مساويًا له ولا بديلاً عنه. راجع المرشد السليم في المنطق، عوض حجازي.

وبناءً عليه تعدد حديثهم عن أنواعها، ومن أبرزها:

الأول ــ الوضعية المنطقية:

وهي التي تعتبر المنطق طريقة تعبير الكائن الحي الناطق من كل ما يجري بداخله من خلال خطة مرسومة ترتبط بها جملة من النتائج(١)، التي تهدف إلى غاية معينة.

والوضعية المنطقية تقرر عجز الإنسان عن إدراك الظواهر الواقعية، والتأكيد على أن التجربة هي المحك الذي يمكن الاعتماد عليه، وإذ لم تكن هناك تجربة لم تكن هناك معرفة(٢). بيد أن الوضعية المنطقية لم يقف الدارسون لها عند مجرد تعريف يعدونه بشأنها، وإنما ذهبوا إلى أنها نظرية تدفع الفكر الإنساني إلى إدراك العلاقات المتبادلة، والقوانين الثابتة في الكون، ورفض كل علم أو معرفة لا تقوم على النتائج التجريبية حتى وإن اعتمدت مقدماتها على علوم ومعارف لها قوة، وتأثير العلوم التجريبية(٣) التي اعتمدوا عليها.

ويعلق أحد العلماء على الوضعية المنطقية، إلى أنها من الناحية النظرية ارتبطت بالظواهر الواقعية من حيث العلاقات والقوانين أن تربط بينها متبعة في ذلك خطوات المنهج العلمي، وهذا المفهوم هو الذي قرر وجود علاقة بين الوضعية المنطقية ومفهوم العلم منذ أوائل الوضعيين(٤).

ولاشك أن الوضعية المنطقية بهذا الاعتبار تؤكد وجود نوع من النزاع داخل المفاهيم التي يرددها دعاة المنطقية أنفسهم، أما لماذا؟ فلأنه حين يتقرر الأمر على نحو من الأنحاء فلابد من اصطحابه، واعتبار الأصل التي يجب أن تبقى

---

(١) أ.ب توماس انجرمان ثوليك وأرائه العلمية، ص٢٠، ترجمة: الأستاذ/ صبحي إسكندر ١٩٥١م.

(٢) الوضعية في الإطار الفلسفي، د. سامح محمد صابر، ص٧٣، ط الأولى، مكتبة منشأة الحرية ١٩٨٥م.

(٣) الوضعية المنطقية وآثارها العلمية، د. محمود رمزي علي، ص١٥، ١٦، مكتبة الأقصى ١٩٧٧م.

(٤) خرافة المنطقية الوضعية، د. ماهر عبدالقادر، ص١١، ط دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م.

صورته قائمة، فإذا لم توجد تلك الصورة لم يكن من الصواب الزعم بوجودها، أو القول بأنها قدمت نفسها للمقدم تقديمًا مقبولاً.

ويذهب الكثيرون إلى أن الوضعية المنطقية هي التي استعاضت عن الدين بالعلم، وعن نصوص الوحي بالخبرات والتجارب، وعن الآداب والقيم بالمنافع المرتبطة والجوانب المترتبة، فإذا لم تكن هناك منافع مترتبة لم تكن هناك مصالح متبادلة، ولا عناية بالوضعية المنطقية(١).

ولا يخفى أن الوضعية المنطقية ينتهي الدارسون لها إلى قاعدة مهمة، وهي إنكار الغيبيات، والتمسك بما وراء ذلك من كافة المحسوسات، وبالتالي الوضعية المنطقية تعتمد على الخبرات والتجارب الإنسانية بديلاً عن النصوص الدينية ومما يؤسف لها أن الداعين لها والمتمسكين بها أعلنوا رفضهم لكل ما هو بعيدٌ عن الماديات حتى قال قائلهم لقد حذفت من قاموسي الله، والروح، والخلود(٢). وهذه العبارة ذكر مثلها كثير من المؤلفين والكّتاب(٣)، الذين اعتنقوا هذا المذهب وتأثروا به.

والوضعية المنطقية لا عناية لها إلا بأمرين أحدهما الظواهر الطبيعية الواقعة تحت اتجاهات الحس والتجربة، وثانيهما ما يقع في نطاق الخبرات والتجارب الذاتية على أساس أن الفرد مقياس الحقيقة(٤).

---

(١) الوضعية في أثوابها المعاصرة، د. فوزي محمد نصر الطويل، ص١٠٤، ١٠٥، ط مكتبة التوفيق ١٩٧٤م.

(٢) هذا مذهبي، كوندرسيه، ص١٠٥، ١٠٦، ترجمة: عادل لطفي، ط مكتبة الأقصى ١٩٧٣م.

(٣) من الكُتاب زكي نجيب محمود، ذكر مثل ذلك القول في كتابه المنطق الوضعي، ج١، ص (هـ) من المقدمة، وذكر تفاصيل كثيرة حول هذا الجانب، ثم وضع كتابه خرافة الميتافيزيقا التي حول عنوانه فيما بعد إلى موقف من الميتافيزيقا، ثم حول العنوان مرة ثالثة نحو فلسفة علمية، ومادة الكتاب واحدة، وهو قد أقر بهذا في صدر كتاب موقف الميتافيزيقا وكتاب نحو الفلسفة العلمية.

(٤) راجع هذه الأفكار لدى السوفسطائين الذين ذهبوا إلى إنكار الحقائق كلها واعتبار الإنسان هو المقياس الوحيد لكل فكرة مطروحة، وقامت أفكار السوفسطائية القديمة على ثلاثة قضايا إحداها أنه لا توجد حقيقة مطلقة ولا معرفة، وثانيها إذا وجدت معرفة فلا يمكن الوصول إليها،

ولا يخفى أن الوضعية المنطقية إنما هي مذهب يعبر عن اتجاه فكري مضاد للدين الكنس في أوروبا كرد فعل لمحاكم التفتيش، ونوع من الرفض لسلطة رجال اللاهوت الذين أزهقوا الأرواح، وانتهكوا الأعراض، وأهدروا الأموال تحت اسم الدين، فكانت الوضعية المنطقية لدى كانت، والمذهب التقوى لدى عمائويل كان من العوامل التي قصد بها دفع الدين الكنس في مواجهة أصحابه(١).

فكان كل من الوضعية المنطقية والمذهب التقوى بمثابة ردود أفعال قوية في مواجهة الاتجاهات الكنسية، ولو أن زعماء المنطقية أفصحوا عن مواقفهم وأنهم يقصدون مقاومة الكنيسة والانفلات من تعاليم الكنهوت لحددوا اتجاهاتهم، ولم يجدوا رفضًا إلا من هؤلاء، أما وقد أعلنوا عداوتهم لكل ميتافيزيقا تأملية(٢)، فقد فتحوا باب النزاع معهم من ناحية كل المتدينين الذين يؤمنون بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، ويؤمنون بأجزاء الإيمان كلها الواردة في قول الرسول ﷺ عن الإيمان: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)(٣).

وبهذا تكون مشكلة الوضعية المنطقية قد حصرت في إطار ديني ناتج عن خلل معرفي.

وثالثها إذا أمكن الوصول إليها فلا يمكن إبلاغها للآخر على وجه صحيح. راجع السوفسطائية والاتجاهات المعاصرة، د. مصطفى الخشاب، ص٦٥، ٦٦، ط مكتبة فوزي ١٩٧٤م.

(١) لمزيد من الحديث عن المذهب التقوى، ودور عمائويل وكانت، راجع: المقدمة الرائعة كتبها نازلي إسماعيل عند ترجمتها كتاب كانت مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علمًا، ط دار الكتاب العربي للطبعة والنشر ١٨٨٨هـ ـ١٩٦٨م، وزارة الثقافة.

(٢) الميتافيزيقا التأميلية المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر. راجع: الميتافيزيقا من منظور فلسفي، د. محمد السيد أبو سلطان، ص٦٥، ط مكتبة وحيد ١٩٦٥م، وراجع: التفكير الفلسفي الإسلامي، د. سليمان دنيا، قد نبه إلى تلك الجوانب، وبين أن الوضعية أخطأوا خطأً فادحًا حينما ركزوا اهتمامهم على إنكار الميتافيزيقا التأملية.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان والإسلام والإحسان، ج١، ص١٥٤، رقم (٨).

الثاني ــ الوضعية الطبيعية:

وهي التي تنغمس في دراسات المظاهر الطبيعية، وتحتكم على التجارب، ويطلق عليها الوضعية التجريبية، ومن أشهر الداعين لها أنطوني توماس، وجورج هلير وغيرهم(١). وقد ذهب فريق من زعماء الوضعية الطبيعية تعريفها بأنها تبحث في الطبيعة ولا تلتفت إلى غيرها اعتقادًا منهم أن الطبيعة هي التي أوجدت الأشياء، وعن طريقها بدأت الحياة، ومن خلالها تستمر الحياة الطبيعية، وهي الحياة ولا شيء وراءها(٢).

كما ذهب آخرون إلى أن الوضعية الطبيعية هي التي تقوم على بحث مسائل الطبيعة من ناحية مكوناتها ومظاهرها، والأسس التي تقوم عليها حتى انتهوا إلى نتيجة اعتبروها صحيحة، وهي أن ما يجب البحث فيه هو الطبيعة بمكوناتها ولا شيء وراءها(٣).

غير خاف أن الوضعية الطبيعية تستهدف تعبيد الطبيعة، والتخلي عن الدين الإلهي بجانب السعي المتواصل إلى الإلحاد في صوره المتعددة، فقد أعلنوا أن الطبيعة هي الإله، وأنهم لا يؤمنون بغيرها، من خلالها وجدوا وعلى أرضها تربوا(٤).

ومن هنا يمكن القول أن الوضعية الطبيعية لم تكن رد فعل لمواقف الكنيسة كالحال مع الوضعية المنطقية، وإنما كانت تعبيرًا صارخًا عن خروج الإنسان على مقتضى الفطرة، واللجوء إلى مستعبد يأوي إليه، والله سبحانه وعد هؤلاء جميعًا

---

(١) الاتجاه الوضعي، أ.ج روبرت بنسون،ص٨١، راجع الوضعية في مراحلها الأولى،ص٧٥.

(٢) راجع: الوضعية المذهب الفلسفي، بايتي أندرسون، ص٦٥، ترجمة: ناهد شوقي، ط دار الثقافة ١٩٨٥م.

(٣) الوضعية وأنا حياة مشتركة، أنطوني توماس، ص٦٥، ترجمة: عادل فوزي، مراجعة د.أحمد طنطاوي، ط مكتبة رشدي ١٩٧٥م.

(٤) زعماء الفلسفة الحديثة والمعاصرة، د. محمود عبد العظيم النمر، ص١٨٥، ١٨٦، ط مكتبة المستقبل ١٩٨٤م.

بالعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾(١).

إن الذين يطيعون إبليس وأعوانه، ويتبعون خطواتهم، فإنهم يعبدون الشيطان من دون الله، فسوف يُرمى بهم في النار(٢).

وعلى ما سبق ذكره فإن الوضعية الطبيعية أبدلت الحق بالباطل، والصلاح بالفساد، والجنة بالنار بإتباعهم الشيطان وبُعدهم عن فطرة الله التي فطر الناس عليها. ومن فعل وسيفعل ذلك فوعده الله بالعذاب والرمي في جهنم خالدًا فيها.

وتبقى مسألة مهمة، وهي أن الوضعية الطبيعية ليست حديثة في شبهاتها، وإنما قديمة ذكر القرآن الكريم طرفًا عن الداعين لها، عرفوا بالدهريين المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(٣).

وكذلك أشارت آيات القرآن الكريم للوضعية الطبيعية سواء أكانوا من عباد الشمس أو القمر أو الأرض أم السماء، وسواء عباد الليل والنهار، فقد جاءت الآيات مبينة فساد هذه الأفكار كلها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٤).

غير خاف أن معالجة هذه المشكلة على ناحية معرفية سهلة بالأدلة الإلزامية والإقناعية. ربما يجد المرء من نفسه رغبة في تناول قضايا هؤلاء، وأولئك غير أن هذا يستغرق صفحات ربما استولى على البحث كله، وسوف أدخر ذلك لعمل آخر.

---

(١) الأنبياء: الآية (٩٨).
(٢) راجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ج٣، ص١٣٥.
(٣) الجاثية: الآية (٢٤).
(٤) الجاثية: الآية (٣٧).

الثالثة ــ الاجتماعيـــــة:

وهي التي تعني بمشاكل المجتمع في أوسع معانيه بحيث تكــون توجهاتهــا اجتماعية والمشكلات التي تعالجها مجتمعية، فالمجتمع هو الهدف الأسمى للحياة، فالحياة هي المجتمع، والمجتمع هو كل الحياة(١).

وتبدو الاجتماعية جملة من التعريفات، أبرزها:

أنها الاتجاه المعرفي الخالص الذي يحدد علاقة الفرد بــالمجتمع، وعلاقــة المجتمع بالفرد، ويكشف عن طبيعته التلقائية، وتعلن عن مسئولية الفــرد عنــد المجتمع،ومسئولية المجتمع عند الفرد، ولذا فالعلاقة بينهما هــي علاقــة الابــن بالأب، أو الجزء بالكل، إنها علاقة يصعب فصم عراها(٢).

إن الوضعية الاجتماعية هدفت إلى إبعاد الدين الكنسي عن ساحة المجتمــع، أما لماذا؟ فلأن الدين يفرض على النفوس الابتعاد تمامًــا عــن التفكيــر الجــاد، الهادف تطبيقًا للقاعدة العامة خذ وأنت أعمى(٣).

لقد كانت الوضعية الاجتماعية، ولا زالت هي الأمل المرجو بالنسبة لــذوي التوجهات العملية الذين لا يتفقون مع الكنيسة فيما تصدره من قرارات، ومجامع، وإذا كان الإله في المسيحية قد مات على الصليب كما زعموا، فإن المجتمــع مــا يزال حيًا نابضًا بالحركة والحياة، فيكون هو البديل عن الإله، وقد تبنى هذا الرأي الكثير من المذهب التقوى وغيرهم(٤).

---

(١) راجع: الوضعية ومشكلاتها الإنسانية والمعرفية، الفونس جينس، ص٦٥، ٦٦، ترجمــة: د. علاء فضل الله، ط مكتبة الحرم ١٩٨٦م.

(٢) الوضعية الاجتماعية ودور كايم، جورج بلانت، ص٨١، ٨٢، ترجمة: مصــطفى خضــر، مطبعة القومية ١٩٨٣م.

(٣) هذه القاعدة يرددها آباء اللاهوت، ورجال الكنيسة، إبان العصور الوسطى، وعلى أساســها تمت محاكمة الباحثين الذين حاولوا الخروج من القاعدة، واتخاذ قاعدة أخرى أســمع وأنــت مبصر، التي تبناها التقويون. راجع: زعماء الفلاسفة وكيف نفهمهم، جيمس فرانس، ص٦٥، ترجمة: يسري هاني الدكر، مكتبة النهضة ١٩٧٨م.

(٤) الفلسفة الحديثة ومشكلاتها المعاصرة، ديفيد ميلانت، ص١١٣، ١١٤، ترجمة: السيد فضــل حسن، ط مكتبة رشدي ١٩٦٨م.

والوضعية الاجتماعية خرجت من عباءة الوضعية إلى مشكلاتها الدينية، فلو أنهم اهتموا بدراسة المجتمع والتطورات التي طرأت عليه، لكان ذلك أمرًا محمودًا، أما وأنهم قد أدخلوا أنفسهم في مشكلات دينية، وأعلنوا رفضهم لها، وقد بات من الضروري إجراء حوارات معهم يراد بها كشف الحقيقة، وإبراز أن ما يرد في الغرب عن المسيحية أو الأديان الأخرى، لا يوجد مثله في الدين الإسلامي بحال من الأحوال(١).

وإذا كانت الوضعية بأنواعها سالفة الذكر الأول والثانية والثالثة، قد نالت عناية الباحثين الذين تعرفوا على أوراقها وكشفوها، فإن هناك مشكلة أخرى لا تزال تؤرق الباحث العلمي، هي مشكلة الأنثروبولوجي، وتعرف بأنها وضعية أفراد المجتمع، أو الذين يقيمون فيه باعتبار أن ذلك من مكونات الحياة ومقوماتها(٢).

لكن هذه الوضعية الأنثروبولوجية لم يذكر المتحدثون عنها زعماء لها يمكن الرجوع إليهم، كما لو يقدموا خططًا منهجية يمكن التعرف عليها، لذا فهي أقرب من وجهة نظر البحث العلمي، إلى المشاريع البحثية التي تحتاج إعادة نظر فيما تضمنته وما يجئ معها.

وأخلص مما سلف إلى وجود قواسم مشتركة بين أنواع الوضعية من أبرز تلك القواسم ما يلي:

---

(١) الدين الإسلامي له امتيازات لا يمكن حصرها، منها أنه الخاتم صحيح النسبة إلى الله تعالى المرتضى منه جل شأنه، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ "المائدة: من الآية ٣". كما أنه هو الدين الذي حسن موقفه بنفسه، فلا دين معه يقبل، ولا دين بعده يوجد، إنما هو المقبول وحده عند الله الباقي، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، "آل عمران: من الآية ٨٥".

(٢) علم الاجتماع ومشاكله، أميل بوترو، ص٧٨، ترجمة: يوسف فخري، ط مكتبة نصر ١٩٧٤م.

أولاً : البداية المعرفية: حيث تبنى هؤلاء جميعًا قضايا معرفية، ثم انطلقت بهم إلى آفاق بعيدة كان المطلوب أن يهتدوا بها إلى الصواب، غير أنهم خالفوا المطلوب، وانحدروا إلى الهداية، ولو تبنوا قضيا العلم وحده لحققوا بناءً مقبولاً، وبخاصة إذا كان هذا العلم مما جاء به الله، وعلى سنة رسوله تحقيقًا لما روي عن عبدالله بن عباس، قال ﷺ : (قد تركت فيكم اثنتين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي)(١).

ثانيًا : أنه يشتركون جميعًا في إنكار ما ليس بمحسوس، كل على الجهة التي أنكر منها، والحقيقة ناطقة بعكس ما إليه ذهبوا، وفيه شعروا، فالعقل غير محسوس، وهم لا ينكرونه، والوعي غير محسوس وهم لا ينكرونه، بل الحب والبغض والغرائز في مفاهيمهم غير محسوسة، وهم لا ينكرونها، فلماذا أنكروا فقط وجود ما ليس بمحسوس من قواعد الإيمان. وهذا يدل على أنهم ضحايا نزغ الشيطان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

ثالثًا : أنه في قضايا الغيب وقع لهم تردد بين القبول والإنكار، بين التصديق والتكذيب، وربما سرى بهم ساري إلى مواطن التصديق والتكذيب، وانحدروا مسرعين إلى الخلف راغبين في التكذيب فحق فيهم وأمثالهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٣).

لقد وصى الذين كفروا بعضهم بعضا وقالوا لا تسمعوا هذا القرآن ولا تنصتوا له ولا تطيعوه، وعارضوه باللغو الباطل، وارفعوا أصواتكم، والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام ليختلط ويتشوش القارئ لكي تغلبوهم فيسكتوا عن

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر عاصم النمري القرطبي، ط٢، ص١١٦١، باب الحض على لزوم السنة والاقتصار عليها، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

(٢) الأعراف: الآية (٢٠٠).

(٣) فصلت: الآية (٢٦).

قراءة القرآن الكريم[1]. ومن يفعل ذلك التشويش والخلط في الكلام بالتصفيق واللغو الباطل لقارئ القرآن وعدهم ربهم بالعذاب الشديد.

رابعًا : أنهم أعلنوا رفضهم للدين بالمفهوم الكنسي دون أن يعلنوا عن حقيقة ذلك وكأنهم يوارون وهو نوع من التعمية، واندفاع إلى الداخل المكنون الذي يعتصرهم، وتظل محاكم التفتيش تقض مضاجعهم، وبالتالي فمن الصواب القول أن دعاة الوضعية في الغرب، أعذارهم كانت وهمية، أما دعاتها في العالم الإسلامي فما أظنهم وقعوا في تقليد غير مقبول، وانتهوا إلى نتائج ليس من الصعب التخلص منها، ولو أنهم فطنوا إلى أن ما يمارسونه لا يبلغ بهم الغاية المشروعة، فربما تخلو عنه، وإذا كان الغيورون على دينهم يهيبون لمساعدة أصحاب الدين في القيام بواجباتهم فقد كان على هؤلاء السعي الدؤوب في التخلص من الهرطقة التي أدخلوا أنفسهم فيها[2].

وفي تقديري أن من تناول قضايا المجتمع وأقبلوا عليها فيما بينهم أن يصير هدفًا أساسيًا وعناية مشروعة بالنسبة للمسلم الذي يسعى للمحافظة على دينه ويحاول تقديم صورًا إيجابية فاعلة للنشاط الفكري الذي يبذله في خدمة الدين؛ لأن واجب المسلم هو تقدير العقيدة الدينية المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[3]، ثم الدفاع عنه، وهو المشار إليه ﷺ : (الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[4].

---

(١) راجع: فتح القدير، الشوكاني، ج٤، ص٥٨٩، ط دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

(٢) محاكم التفتيش، د. رمسيس عوض، ص٤٢، ط ٢٠٠١م، دار الهلال.

(٣) التوبة: الآية (١٢٢).

(٤) صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ ، ج١، ص٢١، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط دار طوق النجاة.

ثم تأتي المهمة الأخيرة وهي إعادة العرض بما يناسب الوضع القائم، حينئذ يكون المسلم قد أدى جزءً من واجبه نحو عقيدته الدينية، وهو ما يعرف بالتجديد في الخطاب الديني، ومواكبة ظروف العصر. بيد أنني فيما سيأتي إن شاء الله تعالى سوف أحاول تناول الغيب المجمع على إنكاره فيما بينهم من خلال العرض، والمناقشة فذلك أوفى بالمنهج، وأوفر من ناحية الوقت، وأيسر بالنسبة لمن يدافع عن عقيدته الدينية، ويحرص على إرضاء رب البرية.

المبحث الثاني
موقف الوضعية من وجود الله

سلف الحديث عن الوضعية من ناحية المفهوم والتنوع، وبان أن مشاكلهم متعددة، والقواسم المشتركة بينهم متنوعة، وحيث إن الحديث هنا عن موقفهم من الغيب، فسأحاول تقديم بعض التعريفات للغيب لدى مفكري المسلمين، ثم أتبعها بذكر بعض القضايا الغيبية، وأعرض رأي هؤلاء الوضعيين فيها، ثم أناقشهم على النحو التالي:

أولاً ــ تعريف الغيب:

ورد للغيب لدى مفكري المسلمين تعريفات كثيرة، بعضها يتعلق بشرح، أو تفسير الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة الغيب، وبعضها تناول الغيب الديني، وبعضها ركز على الغيب العلمي، إلى غير ذلك من الوجوه، ولكني على عهدي بالبحث سألتقط بعضها طبقًا لما يلي:

١ــ ذهب ابن كثير إلى أن الغيب هو الحجج القائمة في الناس جميعًا المشار إليها بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر،والجنة والنار، ولقاء الله وهذا غيب كله(١).

٢ــ أن الغيب ما غاب عن العباد من الجنة والنار،وبما ذكر في القرآن الكريم على وجه الإجمال والتفصيل، فيدخل فيه القرآن الكريم باعتباره كلام الله(٢).

٣ــ يعتقد الإمام الخازن أن الغيب كل ما أمرت بالإيمان به سواء غاب عنك بصرك، أو غاب هو عن بصرك(٣). وبناءً عليه فإنه يكون غيبًا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ ابن كثير، المجلد الأول، ص٦٣، ط الشعب.

(٢) نظرات في كتاب الله، الشيخ محمد بن علي بن محمد التراهوني، ج١، ص٨٥، ط المليجية بالقاهرة ١٣١٧هـ.

(٣) لُباب التأويل في معاني التنزيل، الإمام علاء الدين علي بن محمد إبراهيم المعروف بالخازن، (ت:٧٤١هـ)، ج١، ص٣٠.

والغيب على هذا النحو يأتي مفصلاً كما يأتي مجملاً، ويقرر النسفي أن الغيب هو ما غاب عنه بما أنبأهم به النبي ﷺ من أمر البعث والنشور والحساب، وغير ذلك(١).

والغيب على هذا المعنى ينقسم إلى قسمين أساسين:

أحدهما: الغيب الذي عليه الدليل سواء أكان هذا الغيب وهذا الدليل عليه العقل أم النقل.

والثاني: قسم لا دليل عليه، وهو الذي اختص الله به نفسه بحيث لم يعطه لأحد من خلقه وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٢)(٣).

وقرر الفخر الرازي هذه المسألة وأكد على أن القسم الذي عليه الدليل هو ما أخبر الله تعالى به من العلم به وصفاته والعلم بالآخرة والنبوة، والأحكام، والشرائع. أما الثاني فهو الغيب المطلق هو الله سبحانه العالم به وحده(٤).

وإذا تتبعت آراء العلماء في المسألة بان أن لهم فيها اجتهادات قد يصعب حصرها، والقاسم المشترك بينها هو غيب القلب عن مشاهدة الحق لحضوره(٥).

---

(١) مدار التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات حافظ الدين النسفي (ت:٧١٠هـ)، بهامش باب التأويل، ج١ ص١٨، ١٩.

(٢) الأنعام: الآية (٥٩).

(٣) راجع: إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، للإمام أبو السعود، ج١، ص٣٠، وراجع: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام أبي البركات النسفي، ج١، ص١٨، ١٩، وراجع: أحكام القرآن، للإمام بن عربي، ج١، ص٨، تحقيق:محمد علي البيجاوي، ط الحلبي.

(٤) مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، المجلد الأول، ص٣٩١، ط دار الغد العربي بالقاهرة ١٩٩٠م.

(٥) الإبانة عن طريق القاصدين، والكشف عن مناهج السالكين، الإمام أبو بكر محمد بن حسن بن فورك، ص١٧٠، تحقيق: د. السيد أحمد عبد الغفار، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٩٢م.

والغيب على هذا المعنى أمر متعلق بالله تعالى، ولقد قيل الغيب هو كل ما غاب عنك ولم تشهده، وهو داخل كله في وحدانية الله، وإنزال كتبه، وإرسال رسله، فذلك كله غيب أنواعه، وأمهاته كلياته وجزئياته[١]. ويقرر ذاك ــ الطباطبائي ــ حيث يذكر أن الغيب خلاف الشهادة، وينطبق على ما لا يقع عليه الحس ولا يتصوره إلا بوجه من الوجوه ما لم يكن النص الشرعي قد أدى إليه، ويدخل فيه الله والوحي، وما يستتبع ذلك من أمور كلها غيبية لا مجال للعقل وحده في إثباتها[٢].

وإذا كان الغيب هو ما سلف ذكره ويدخل فيه كافة الغيبيات سواء ما أخبره الله عنها ويسمى السمعيات، وأما ما لم يخبره عنها تبقى في مجال الغيبيات. ويلاحظ أن الغيب أهم من السمعيات، أما لماذا؟ لأن السمعيات هي الأمور التي أخبر عنها السمع وحده، ولا يستطيع العقل الاستقلال بها إثباتًا على جهة الحقيقة[٣].

ويدخل في الغيب ما يتعلق بالغيب المخلوق وغيب الخالق، باعتبار أن حقيقة ذات الله لا يعلمها إلا الله، وما يتعلق بصفاته وأفعاله فإنه مما أعلمها به الله، ويستدل عليه بوجوه منها قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[٥]. فهو عالم ما غاب عن

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسين الطبرسي، ج١، ص١٢٠.
(٢) راجع الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١، ص٤٥، ٤٦، الطابعة الخامسة ١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م، منشورات مؤسسة الأعلى، بيروت.
(٣) راجع: مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، مجلد ١، ص٦٩٢، وراجع: محاضرات في العقيدة الإسلامية، د. سليمان سليمان خميس، ص١٣، ط مطبعة عطايا بالقاهرة ١٩٦٣م.
(٤) الرعد: الآية (٩).
(٥) الجن: الآية (٢٦).

أبصار خلقه، فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحدا، فيعلمه أو يريه إياه إلا من ارتضى من رسول، فإنه يظهره على ما شاء من ذلك(١).

ولذا ذهب المتأخرون إلى أن الغيب قسمان أحدهما الغيب الحقيقي المطلق، وهو غيب حقيقي لا يعلمه إلا الله، ومطلق لأنه غاب علمه عن جميع الخلق حتى الملائكة،وهو غيب حقيقي لأنه خاص بالله جل علاه، وهو مطلق لأنه يتم من كافة نواحيه، فلا تقع فيه من حيث هو معلوم النسبة أو الإضافة أو ما يرتبط بشيء من ذلك.

ثانيها: غيب إضافي، وهو ما يعلمه بعض الخلق دون بعض كأسباب ما عرف بأحوال الاستعداد الفطري، والعمل الكسبي، وما أظهره الله على بعض الغيب الحقيقي على رسله فليس فيه كسب، بل هو من خصائص النبوة وهي بالفضل لا بالكسب(٢).

وبعيدًا عن التعريفات والتقسيمات، فإنما انتهي إليه التأكيد على جملة من القضايا أهمها أن الغيب حقيقة واقعية، وعقيدة دينية، ومن يؤمن به هو الناجي، ومن ينكره هو الجاحد، وأي خروج على تلك الجزئيات الغيبية لا يعتد بصاحبها، أما لماذا؟ فلأنه ينكر حقائق ثابتة ويجادل في أمور معلومة، ويطعن على صحيح سنن، ومنزل قرآن.

والوضعية قد طعنوا على هذه الجوانب، وأنكروا وجودها إجمالاً، وتفصيلاً، ومن ثم كان لابد من تقرير آرائهم، ومناقشتها، والوقوف بها عند الحقائق الأساسية، فمن ذلك خير لدين الله، ونصح له.

وسوف أتناول هنا بعض القضايا التي أنكرها الوضعيون ثم أناقشها طبقًا لما يلي:

---

(١) راجع: جامع البيان في تأويل القرآن،محمد بن جرير بن يزيد أبوجعفر الطبري،(ت:٣١٠هـ)، ج٢٣، ص٦٧١، تحقيق: أحمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، طبعة أولى ١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

(٢) الوحي المحمدي، الشيخ محمد رشيد رضا، ص١٨١، ط المنار.

ـ إنكار وجود الله تعالى:

لما اعتمد الوضعيون عقولهم واعتبروها هي المرشد الهادي فيهم، فقد لجأوا إليها يستحسونها ويتعاملون معها، ويلحفون الضغط عليها، لعلها تحقق ما تعلقوا به، وقد انتهت بهم جولاتهم إلى إنكار قضايا الغيب جملة، وتفصيلاً(١).

ومن أبرز الأمور التي أنكروها ويدور البحث معهم فيها إنكار وجود الله:

ذهب الوضعيون في جملتهم إلى إنكار وجود الله تعالى بزعم أنه قد مات ــ معاذ الله ــ وأنه دفن ــ معاذ الله ــ وظلوا على ذلك يكررون، وسوف أعرض لهذا الجانب ثم أناقشه في حدود ما يلي:

أ) العـــــرض:

ذهب أحد الوضعيون إلى أن وجود الله فكرة يقول بها مخادعوا الدين، والشعوب والمضللون، ويذكر أن كهنة المعبد كثيرًا ما ذكروا له كلمات عن الإله، فإذا تأملها وجدها تنتهي به إلى إنكار وجودهم، وأن عقله كان إذا تأمل أن الرب اليهودي صارع يعقوب عند فونئيل، وإن يعقوب هزمه كانت توحي إليه بضعف الإله وعجزه عن مقاومة واحد من خلقه فكيف يكون إلهًا وهو بهذه الحالة(٢).

ويذكر آخر أن فكرة الإله غير قابلة للتصديق، ويتساءل قائلاً أما لماذا؟ لأن الإله الذي عرضه الكتاب المقدس يأكل ويشرب، ويهرب، ويلعب بل يعجز عن إلزام أبناءه بممارسة القيم والأخلاق الفاضلة، بدليل أن أبناء الرب لما نزلوا يشاهدون الأرض التي خلق الرب إياها اختار كل واحد من أولاد الرب واحدة من بنات البشرية الجميلات وأضجع معها فأنجبت منه، طبقًا لرواية الكتاب المقدس التي تقول (لما بدأ الناس يتكاثرون على الأرض ولد لهم بنات، وأن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا، فقال الرب

---

(١) يطلق عليها قضايا من باب التجاوز في الاستعمال، أو التوسع كلمة قضايا، والأولى أن يتم الحديث عنها تحت عنوان عقائد؛ لأن الغيب جزئياته تمثل عقيدة إيمانية جاءت بها السنة الشريفة.

(٢) الألهة الزائفة، جورج آير، ص٥٨، ترجمة: يوسف رشدي، ط الجيل ١٩٨٤م.

لابد من روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة)[١].

فكيف يكون إلهًا وهو عاجز عن تربية أولاده، وتدبير شئونهم، إن ياهو الذي امتلأت نصوص الكتاب المقدس به ليس إنسان شرير استخدمه رجال اليهود، لتضليل الناس، وأنا لا أعتقد في إله يصعب أن التقى به أو يسهل عليه الخداع، وممارسة الأفعال غير الأخلاقية، ولذا أنكر وجود هذا الإله[٢]، الغير قادر على إصلاح البشرية.

وإذا كان الإله بهذا النحو، أو على تلك الشاكلة التي أعلنتها الكتاب المقدس، فمن الصواب بعدم وجود ذلك الإله.

ويقول أحدهم أن الإله فكرة خيالية، ولا يعقل أن تكون الخيالية موجودة، ثم يقول وكثيرًا ما صنعنا آلهة بخيالاتنا، فلما كبرنا، وأردنا أن نتعامل مع تلك الآلهة لم نجد إلا أوهام، وسرابات، وخيالات، والحق أنه لا إله[٣]، نؤمن به لأنه غير موجود.

إن ذات الإله عندهم ليست موجودة، أما لماذا؟ فلأن الإله الذي سمعوا عنه من القساوسة، والبابوات، ورجال الكنسية، والعشائر الطوطمية لا توجد له صورة صحيحة مجردة في أذهانهم، إنما الموجود الصورة المجسمة التي تشبه إلى حد كبير البابا نويل[٤]. وإذا كان بابا نويل شخصية أسطورية خرافية، فإن الإله لا يعدوا إلا أن يكون شخصية خرافية.

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، اصحاح ٦، فقرات ١ : ٤، ط دار مكتبة العائلة.

(٢) راجع الألوهية من منظور ملحد، جورج بوتر، ص١٠٥، ١٠٦، ترجمة: عادل زكريا، ط مكتبة المقطم ١٩٨٥م.

(٣) الإله أنا، أ.ب جورج بورو، ص١٥، ١٦، ترجمة: شوقية السيد صالح، مراجعة: د. خالد زكريا طه، ط بيروت ١٩٦٥م.

(٤) البا نويل هو شخصية أسطورية ظهرت في التراث اليهودي القديم، ثم انطمثت، وتجدد ذكرها في التراث المسيحي، وهي تقوم على أن بابا نويل واحد من أبناء الرب عاش في البيت السماوي، وأنه ينزل في الأعياد محملاً بالهدايا المباركة التي إذا ما وقعت في حوزة أحد

ويعلق أحد الوضعيون على هذا التفسير، لقد حسبوني مجنونًا لما قلت لا إله وشعر أصدقائي بأني قد أخطأت الطريق، وفعلاً حاولت الوصول إلى الله، ولكنه لم يعثر عليّ، ولم أعثر عليه، بل افترق كلانا، ولم نتلاق فكيف اعتبره إلهًا بعد ذلك(١). وإذا كان الإله لا وجود له فكيف استطيع الاعتراف به، إن الإقرار بوجود الله يشبه إلى حد كبير وضع السم في فم طفل تحت زعم أنه لبن، لكني لست طفلاً، والله ليس موجودًا حتمًا(٢).

إن الإله كما تقول الوضعية يصعب التلاقي معه، والتعامل الجاد، وكثيرًا ما اعتمد اليهود على ياهو، إذا يتخلى عنهم في أول معركة ينزل لها، ولذلك نادى مفكروا المسيحية وقبلهم اليهودية بضرورة إعلان عدم وجود إله، وحيثما يفهم الناس هذه الحقيقة فسيظل الوضعي مسابرًا على الإنكار، حتى وإن قال الناس جميعًا إن الإله موجود(٣).

ويقرر الوضعيون الطبيعيون أن حكايات الإله تناقض تمامًا الإقرار بوجود الطبيعة، فإما طبيعة وإما إله، والطبيعيون قد أقروا بوجود الطبيعة، وبالتالي فلابد من إنكار وجود هذا الإله(٤)، الذي يناقض الطبيعة التي هي الحياة كلها.

حصلت له البركة في ماله وأولاده، ولذلك ينال بابا نويل احترام متزايد في الأوساط العامية، وأحيانًا العلمية.

راجع: الشخصيات الأسطورية في التراث المسيحي، جرجس فخري أنطوان، ص١٠٦، ١٠٧، وقد جاء ذكر مريمات العهد القديم. وراجع: التراث المسيحي بين الأوهام والحقيقة، د. محسن فراج، ص١٠٦ــ١٠٨، الطبعة الثانية، دار النيل.

(١) الإله ياهو حركة خداع متواصلة، بيتر بيير، ص٢٨، ٢٩، ترجمة: ناشد فخري، طبعة الموصل ١٩٧٤م.

(٢) التيارات الفكرية المعاصرة، د. محسن علي السيد، ص٢٠٦، ٢٠٧، ط دار الجيل ١٩٨٥م.

(٣) زعماء الفلسفة الحديثة والمعاصرة في ميدان الإلحاد، د.السيد عبدالعاطي السيد، ص٧٤، ٧٥، ط دارالنهر ١٩٨٧م.

(٤) الآلهة المقدسة، جورج بيتر، ص٣٨، ٣٩، ترجمة: السيد رزق، مراجعة: د. عبد الحميد رجب، الطبعة الأولى، مكتبة المنتزة ١٩٩٧م.

وعلى ما سبق ذكره إن الوضعية في كل مراحلها وكل مراتبها تشترك في إنكار وجود الله للاعتبارات التي سلف ذكرها، مضافًا إليها ما سجله الطوطمية الجانتينية، وأصحاب بوابة السماء من أن الرب كان مع المريمات(١).

ويتساوى الوضعيون جميعًا في هذا الإطار الإلحادي، ومهما قيل بشأن المتدين منهم بأنهم يبتعدون تمامًا عن إثبات التنزيهات لله، بل على العكس من ذلك يزيدون في باب التشبيهات حتى يقال لهم ربما أغراهم بريق المتابعة لهم فأذلهم وأخفى أسرارهم(٢).

من المهم القول بأن الدراسات التي تمت حول هذه الجوانب تنتهي إلى أمور، منها:

١ــ أن قضية الألوهية معرفية ولا تقوم عليها عقيدة دينية،كما أنها قائمة على أصول رحوية، يمكن أن تؤدي عملها من غير مشكلات إضافية، لكن القوم استأثروا العصيان لله ومخالفة الواحد الديان.

٢ــ فكرة الألوهية في اليهودية والنصرانية منقوصة تحول البشر العاديين إلى ذئاب مفترسين، إذ لا قيمة للإله الذي لا يعرف ظهره من قبضته، بل يحاول استدعاء الآخرين، واستجلابهم حتى يكونوا معه غيره وغيرهم.

---

(١) المريمات: ١ــ مريم أم عيسى، ٢ــ مريم أم يعقوب، ٣ــ مريم أم لوسي، ٤ــ مريم أم سعدي، ٥ــ مريم أم يوسف النجار، ٦ــ مريم الحصاوية. راجع: مريمات الكتاب المقدس، العهد الجديد، د. فيدر جورج، ص٧٨، ودورهن في خدمة الرعية.

(٢) المطالع للعهد الجديد يرى هذه الصورة قد تكاثرت أمامهم، لكنه غير قادر على إعلان تلك النتيجة، ولا يسمح لهم قول الحق حتى وإن لم يكن مرًا، أما لماذا؟ فلأن الأناجيل قررت لهم جملة منها (إذا لطمك أحد على خدك الأيمن فأدر له الأيسر، فإن إلهك الذي في السماء يقول لك آه نيابة عنك، ويسمع ألمك، وسيثأر لك

من المؤكد أن الوضعية في مجملها كانت الألوهية فكرة لديهم، فهي تقبل الزيادة والنقصان، وتدور بين التصديق والتكذيب، ثم تنتهي إلى نتيجة حاسمة (ترك هذا الإله، حتى يعيش الناس في أمن وأمان)[١].

لقد نهض هؤلاء من عقيدتهم كوضعيين مطالبين بنقض العقل من فكرة وجود إله، واعتبروا أن الإيمان بالإله يمثل ارتدادًا لعصور الأساطير وسيطرة الخرافات، والتخلي عن تلك الفكرة، أو على الأقل هي الحركة العاقلة في الفكر المعاصر.

يقول أحد الوضعيون إن الألوهية أمر سهل من ناحية الإدعاء، لكنه أمر عسير جدًا من ناحية التطبيق، ودعوني أقابل هذا الإله كما فعل يعقوب ودلوني على قرية فنوئيل ألاقيه عندها إن كان له وجود، إن اعتقادي الشخصي عدم وجود إله[٢].

ولا ريب أن كل ما ذهبوا إليه يعبر عن خواء عقدي، وفراغ ذهني، وتردد بين المفاهيم بجانب الانسلاخ الكامل من المعتقدات الدينية، حتى يتحول الإنسان إلى وحش كاسر يحطم كل القيم، ويزحف على جميع التقاليد، وهذا بعيد عن استخلاف الله للناس في الأرض.

المناقشـــــــة:

من الواضح أن هذه القضية لا تقف عند مجرد فكرة تأتي وتزول، وإنما هي تركز على عقيدة، يسعى هؤلاء الوضعيون إلى إبطالها، ونحن نتمسك بها إذا كان بين الطرفين خلاف كبير. لكن ديننا الحنيف أمرنا بالعدل، فقال تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا

(١) راجع هذه المسألة في الديانات القديمة، هنري فاوتس، ص٨٥، ٨٦، ترجمة: السيد السيد مهدي، ط دار الأقصى بالمغرب ١٩٦٥م، الطبعة الأولى.

(٢) خطايا الأصولية الدينية والمعتقدات اللاهوتية، جورج إيماني، ص٣٩، ٤٠، وراجع: الحركة العاقلة في الفكر الإنساني وقضية الألوهية وجهًا لوجه، إيميل شوفال، ص٢١٥، ٢١٦، ترجمة: عبد الغني السيد طه، ط الكرنك ١٩٧٦م.

الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

لقد أمر الله الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ بالعدل، وقال لهم كونوا قوامين بالحق لله، لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا شهداء بالعدل، لا بالجور، ولا يحملنكم بُغض قوم من ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًا، فالعدل أقرب إلى التقوى من تركه، واتقوا الله وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتوها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر[2]. والمنهج الإسلامي يستوجب المناقشة الموضوعية، إذ بعدها يستبين الموقف، فإما إيمان يرضي عنه الله، وإما إلحاد يلقي بصاحبه في غضب الله، وسوف أناقش تلك المسألة من خلال الجوانب الآتية:

الأول ـ المعرفي[3]:

الفلاسفة جميعًا قديمهم، والمحدث منهم، والمعاصر، ومن سيأتي منهم فيما بعد اتفقوا على أن المعرفة أحد المباحث الثلاثة الرئيسية بالنسبة للفلسفة التي تدور في:

أ) الوجود، وهي الأنطولوجيا.

ب) المعرفة، وهي الأبستمولوجيا.

ج) القيم، وهي الإكسيولوجيا[4].

---

(١) المائدة: الآية (٨).

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت:٧٧٤هـ)، ج٣، ص٦٢، تحقيق: محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م.

(٣) ابتدأت المناقشة في المعرفي؛ لأن المعرفة قاسم مشترك بين المسلم وغيره وبخاصة البدهيات، فمنكر البدهيات لا يهتم أحد به؛ لأنه مكابر، وهذا يُعيبه، ويُعيب الطريق الذي ركبه.

(٤) راجع: أسس الفلسفة، د. توفيق الطويل، ص٤٨، ط دار النهضة العربية ١٩٧٩م، وراجع: نظرية المعرفة، د. محسن السيد طلبة، ص٢٣، ط مكتبة رزق ١٩٨٥م.

ولما كانت هذه المعرفة تستلزم وجود ذات عارفة، وموضوع للمعرفة[١]، فلابد من رابط يجمع بين الذات، والموضوع، ولا يكون جزءًا من الذات، ولا جزءًا من الموضوع، والكل مجمع على وجوده، وهو غيبي لا محالة؛ لأنه غير محسوس، فثبت بهذا وجود الله سبحانه، وأنه حاضر غير غائب، وأنه غير محسوس. كما أن نظرية المعرفة أيًا كان نوعها أو ترتيبها[٢].

تدور في هذه العلاقة النمطية بين الذات العارف، وذات الموضوع، فإذا نظرنا إلى العارف أدركنا أنه له جسمًا، وعقلاً، ونفسًا، وروحًا، كما أنه مزود بمجموعة من القوى، والملكات، مثل قوى الغضب والفرح، وملكة الانفعال والهدوء، والحزن والسعادة، وهذه كلها غير مدركة بالحواس، وقد ثبت وجودها، فتحتاج إلى خالق يخلقها، ولا يكون هذا الخالق إلا متميزًا عنها، وهو واجب الوجود جل علاه[٣].

ثم أن القواعد المعرفية منضبطة بأمرين ذات عارفة، وموضوع معروف، وكل منهما له استقلال ذاتي، فهل يمكن اعتبار هذا الاستقلال ماديًا، أو محسوسًا، أو شيئًا من هذا القبيل!؟ مع أنه فكرة موجودة في العقل نفس وجودها في الوهم.

---

(١) راجع: علاقة الذات العارفة بالموضوع المعروض في كتاب تأملات في الفلسفة، ديكارت، ص١٢٨، حيث تحدث عن تلك العلاقة أثناء حديثه عن الأفكار الناقصة.

(٢) المعرفة أنواع باعتبارات كثيرة، منها الفطرية، والحسية، والإلهامية، والوجدانية، والتجريبية، والنقلية، والإشراقية الغنوصية. راجع: المعرفة الإنسانية أصولها وتطوراتها، د. السيد علي الشحات منصور، ص١٠٦، ١٠٧، ط بيروت ١٩٨٥م.

(٣) وقد استدل صاحب المواقف على بطلان هذا الرأي، والاستناد إلى فاعل، قادر، حكيم ليس موجودًا من الموجودات، ولا يشبهها في شيء أبدًا، وفي ذلك يقول: (أن الموجودات لو كانت بأسرها ممكنة؛ لاحتاج الكل إلى موجد مستقل، يكون ارتفاع الكل مرة ــ بألا يوجد الكل ولا واحد من أجزائه أصلاً ــ ممتنعًا بالنظر إلى وجوده؛ إذ ما لا يمنع جميع أنحاء العدم لا يكون موجبًا للوجود، والذي إذا فرض عدم جميع الأجزاء كان ممتنعًا نظرًا إلى وجوده يكون خارجًا عن المجموع، فيكون واجبًا، وهو المطلوب).
راجع: المواقف في علم الكلام، عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الموقف الخامس، المسلك الرابع، ص٢٦٨، ط مكتبة المتنبي بالقاهرة.

الثاني ـ الفـــكري[١]:

أن الفكر هو ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول[٢]. وعلى هذا فـالفكر حركة النفس لأمور معلومة في العقل البشري، فهل يمكن لواحد أن يقول بإنعـدام الفكرة، وهي موجودة، أو يقول بوجودها وهي غير محسوسة، أم لابد لـه مـن التأكيد على أنها موجودة غير محسوسة، والضامن لوجودها هو الله.

وقد قرر أحد فلاسفة الغرب وأعلن أن كل واحدة من تلك المنـاداة تـرتبط بأخرى عن طريق رباط غير مادي انتهى به إلى وجـود الله سـبحانه[٣]. حيـث عرض هذا الجانب، وأكد عليه، وانتهى إلى أن العلاقة بين المناداة ليست ماديـة، وهم يقرون بها، وما دام الأمر كذلك فالله موجود غير محسوس وغيـر مـدرك بالحواس.

كما أن فكرة الاتساق المقدور التجانس، المدبر التي قال بها كثيـرون مـن الفلاسفة المحدثين ينتهي الأمر بهما إلى إثبات وجود الله تعالى[٤].

وقد تنبه ـ ليبنتز ـ إلى فكرة العلاقة بين الـذات العارفـة، والموضـوع المعروف وذلك أثناء حديثه عن المملكة الفيزيائية للطبيعة[٥]، والمملكة الأخلاقية للفضل تعتبر مملكة الفضل الإلهي الأخلاقية بمثابة العلاقة بين الله والكائنات التي

---

(١) الفكر: هو حركة النفس في المعقولات الأولى، والفكرة الصحيحة عبارة عن تلاقي ثمـرتين في حديقة العقل الإنساني، ولذا اعتبرت الفكرة الصحيحة بمثابة هدية إيجابية.
راجع: الفكر الإنساني أصوله ومستوياته، الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عبد العزيـز بـن زاهر المنيلاوي، ص٤٥، ط مكتبة المليجية.

(٢) راجع: التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص١٦٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) المونادو لوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ليبنتز، ص٤٨، ٤٩، ترجمـة: د. عبد الغفار مكاوي، ط دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٨م.

(٤) قضية إثبات وجود الله لا تحتاج إلى دليل، فهي بذاتها تشهد بثباتها، غير أن البعض قد يجتهد في الوصول إلى أدلة تكون في مقابلة الآخر، وهو ما يعرف بالتبادل الدلالي للمعارف الثابتة.

(٥) المملكة الفيزيائية للطبيعة هي التي تقوم على أن كافة عناصر الطبيعة بينها نوع من الانسجام في صورها الجزئية أو الكلية، كذلك بينها ارتباط نوعي في المقدمات المنبثـة فـي الجانـب الفيزيائي.

خلقها، فالله في الفلسفة الحديثة هو البنّاء الأعظم، والمهندس المدبر للآلة الكونية الهائلة،وهو في نفس الوقت الحاكم المهيمن، والراعي الحكيم والرب الرحيم(١).

وإذا كانت العلاقة بين الذات العارفة، والموضوع المعروف، تحتاج إلى رابطة، وتلك الرابطة غير محسوسة، فقد ثبت وجود الله تعالى، وهو غير محسوس بحاسة من الحواس(٢)، أيًا كانت تلك الحاسة. بل ثبت لدى العرفان أنهم استيقنوا من وجود الله تعالى، إما عن طريق الحواس الظاهرة كالحال مع سيدنا محمد ﷺ الذي رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج، وجاء الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾(٣)، أفتجادلونه جدالاً ترمون به دفعة عما رآه وعلمه وتيقنه(٤).

محل الشاهد أن الرسول رأى ربه بالكيفية التي رآها، ونحن لا نعلم حقيقتها، لكنها تؤكد أن الله يُرى إذا أراد ذلك، وهذا دليل على أن الله موجود، وشهدت به الحواس كلها(٥).

---

(١) المونادولوجيا، ليبنتز، ص٩٢.

(٢) الفيزياء والفلسفة، جيمس جينز، ص٢٣، ترجمة: جعفر رجب، ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٨١م.

(٣) النجم: الآية (١٢).

(٤) راجع: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت:٧٧٥هـ)، ج١٨، ص١٦٩، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، ط دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ــ١٩٩٨م.

(٥) يذهب العلماء إلى أن حاسة البصر ما هي إلا قوة مرتبطة بملكة كلاهما له علاقة بالإله، والعلاقة والملكة مرتبطة بفعل الله سبحانه، فهو المانح، وهو المانع، يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ "الأنعام: الآية ٤٦". تبين الآية أن الذين أعماهم الله وأصمهم وغطى على قلوبهم بعد تكرار التنبيهات، أمر مستمر لم يزل جاريًا في الأمم، السابقة واللاحقة إلى يوم القيامة.
يقول أبو السعود (أن الله أصمكم وأعماكم بالكلية، وختم وغطى على قلوبكم بما لا يبقى لكم معه عقل، وفهم أصلاً، وتصيرون مجانين، ثم أخبروني إن سلب الله مشاعركم من إله غيره تعالى يأتيكم بها، فعجب من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة، وانظر كيف نكررها،

ولا يطعن في شاهده الحواس أحد من العقلاء طالما كانت سليمة، وتؤدي عملها على وجه صحيح وجاءت النصوص الشرعية لتشهد لها وتؤكد صدقها، فكيف لا والله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين به أن يروه في دار السعادة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١).

تدل الآية الكريمة أنه في يوم القيامة وجوه مضيئة، بيض يعلوها نور وبهاء، حسنة وناعمة تنظر إلى ربها عيانًا بلا حجاب(٢). وقوله ﷺ (إنكم سترون ربكم عيانًا)(٣). وقوله ﷺ حينما نظر على القمر ليلة البدر، فقال: (أما أنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها)(٤).

ومحل الشاهد أن هذا التجلي سيراه المؤمنون بالله رب العالمين، وما دام الرسول الكريم ﷺ قد رأى ربه يقظة في ليلة الإسراء والمعراج، والمؤمنون سيريهم الله في الآخرة. فإن منكري وجوده تعالى لعدم رؤيته جل علاه، يكون كلامهم ساقطًا لا اعتداد به.

أضف إلى ما سبق أن دعاة الوضعية وقع عليهم نوع من الإسقاط المعرفي، فتصورا الله بما يتصورن به أنفسهم مع أنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

ونقررها مصروفة من أسلوب إلى أسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية، وتارة بطريقة الترغيب والترهيب، ثم بعد ذلك التكرار بالطرق المختلفة يعرضون.

راجع: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، (ت:٩٨٢هـ)، ج٣، ص١٣٤، ط دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

(١) القيامة: الآيات (٢٢، ٢٣).

(٢) راجع: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين بن محمد بن إبراهيم عمر الشيحي أبوالحسن المعروف بالخازن (ت:٧٤١هـ)، ج٤، ص٣٧٢، تصحيح محمد علي شاهين، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٣) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ج٩، ص١٢٧، ط دار طوق.

(٤) صحيح مسلم، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، ج١، ص٤٣٩، ط دار إحياء التراث ــ بيروت.

السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1]. فليس نافيه ويدخل في ذلك نفي أن يكون مثله سبحانه شيء يزاوجه جل علاه، ونفي ليس مثله تعالى شيء في الشئون التي في جملتها التدبير البديع[2].

وإذا كان الأمر كذلك، فقد ثبت أنه تعالى موجود، وأنه ليس كمثله شيء، وأن المؤمنين يرونه وأن بقاءه سرمدي، وليس شيء هناك يساويه في شيء أبدًا، فصار ذلك من الشواهد على وجود الله ووحدانيته وتفرده بصفات الجلال والجمال والكمال والإكرام[3].

وفي تقديري أن الوضعية قد أسرفوا على أنفسهم فخرجوا من الإيمان إلى الإلحاد، ولو أنهم راعوا حق الله في أنفسهم لقالوا آمنا به، كل من عند ربنا، ولو أنهم تبنوا فكرة تجديد العلاقة بين العبد وربه لوصلوا إلى نتائج مذهلة تجعل الواحد فيهم منخرطًا في مسلك أهل الإيمان ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[4].

---

(١) الشورى: من الآية (١١).

(٢) راجع: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٥، ص٤٥، ط دار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

(٣) ثبوت صفات الجلال والإكرام لله تعالى وارده كلها في النقل المنزل منه قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ "الرحمن: الآية ٧٨".

فالجلال إشارة إلى كل صفة من باب النفي، فالله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض فجلّ الله أن يكون محتاجًا، وجل أن يكون عاجزًا، فهو عظيم في القوة وفي الفعل والإكرام إشارة إلى كل صفة من باب الإثبات، فالله حي قادر عالم.

فالجلال والإكرام وصفان مرتبان على أمرين سابقين، فالجلال مرتب على فناء الغير، والإكرام على بقائه تعالى، فيبقى الفرد وقد عزّ أن يحدّ أمره بفناء من عداه وما عداه، ويبقى وهو مُكرم قادر عالم فيوجد بعد فنائهم من يريد. راجع: مفاتيح الغيب، الرازي، ج٢٩، ص٣٥٧، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ. كما هو ثابت جل شأنه بالدلائل العقلية، فقد كان ديكارت ممن استفادوا بفكرة النقص الإنساني في إثبات الله. راجع: مقال عن المنهج، ديكارت، ص١٥٧، ترجمة: محمود محمد الخضيري، ط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

(٤) الأنفال: الآية (٢).

المبحث الثالث
موقف الوضعية من قضيتي الروح والخلود

سلف الحديث عن موقف الوضعية من قضية الألوهية، وبان أن إنكارهم لها يخالف القواعد العلمية والمنهجية، كما يخالف العقيدة الدينية، ثم ناقشت الأمر برمته على مسطح معرفي كان الأولى به أن يلتفت إليه، وهأنا ذا أتناول القضية الثانية، وأعني بها قضية الروح، ثم ألحقها بقضية الخلود، وسيكون ذلك على النحو التالي:

أولاً ــ موقفهم من الروح:

خلق الله الكائنات الحية لها جسم، وفيها روح، وبعضها معه عقل، وكل منها له ما يناسبه في الحكمة الإلهية، بل إن كل واحدة منها ورد لها استقلال في النقل المنزل، بدليل أن الروح وردت في القرآن الكريم حوالي ست مرات تقريبًا(١)، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾(٣).

ولما كان الوضعيون يقرون بوجود الإنسان، وينكرون الجزء المكمل له، وهو الروح، فقد بات من الضروري عرض موقفهم، ثم المناقشة التي توضح جوانبه، وتحدد معالمه، وسيكون ذلك على النحو التالي:

أ) **العـــرض:**

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٣٢٦، ط دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

(٢) يوسف: من الآية (٨٧).

(٣) الشورى: من الآية (٥٢).

يذهب الوضعيون المنطقيون بوجه خاص إلى أن الإنسان ما هو إلا الجسم المحسوس بعوارضه المشخصة له، وأعني بها الأبعاد الثلاثة الطول، العرض، ثم العمق(١).

ويذهب الوضعيون إلى أن الروح ليس لها وجود مستقل، بل لا وجود لها أصلاً، فيقول لسانهم: إن الروح ما هي إلا ذبذبات منعكسة عند توقفها يحدث السكون، وعند انطلاقها يحدث الحركة(٢).

وإذا كان الروح مجرد ذبذبات تتحرك وتسكن، فإنها لا ترى، وإن أمكن وصفها، إنما الذي يحس ويمكن إجراء تجارب عليه هو الجسم. وبناءً عليه قرروا أن الإنسان هو الجسم فقط ولا شيء ورائه.

ويذكر أحد الوضعيون فكرة إنكار الروح مع إنكار وجود الله والخلود أيضًا، فيقرر أن البحث الميتافيزيقي يجب أن يستبعد من ميدانه الله، والروح، والخلود، أما لماذا؟ فلأن البحث فيها لا يكون إلا عن طريق البحث النظري، وله حدوده، وما دام العقل النظري له حدوده، فمن غير المنطقي القول بوجود موجودات يصعب إقامة التجارب بشأنها(٣).

ويؤكد ذلك في كثير من المواقف، حيث يقول علمنا بأن الميتافيزيقا هي البحث في الأشياء التي لا تقع تحت الحس، لا فعلاً، ولا إمكانًا؛ لأنها أشياء بحكم تعريفها لا يمكن أن تدرك بحاسة من الحواس(٤) الظاهرة.

---

(١) هذه الأبعاد الثلاثة تكون في الماديات التي من طبيعتها تكون هذه الجوانب، أما إذا كانت الماديات من فصيل آخر لا تحتمل إلى وجه واحد فإنها تحتاج إلى الملازمات الثلاثة الزمان، والمكان، والحركة. وبناء عليه فمن لم يستغني عن الأبعاد الثلاثة، فإنه بالطبع لا يستغني عن المقومات الثلاثة بحال من الأحوال نظرًا لارتباط كل منها بالأخريات. راجع المعتبر في الحكمة الإلهية، أبو البركات هبة الله بن علي بن مالكا البغدادي، ط دار بيبليون جبيل، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ.

(٢) فلسفتي، وليد فيج، ص٤١، ٤٢، ترجمة: السيد رزق، ط دار الجيل، ١٩٨٥م.

(٣) خرافة الميتافيزيقا، د. زكي نجيب محمود، ص١١، مع ملاحظة أن الدكتور زكي نجيب محمود من أنصار الوضعية المنطقية.

(٤) موقف من الميتافيزيقا، د. زكي نجيب محمود، ص٢٦، حيث أن خرافة الميتافيزيقا، أو موقف من الميتافيزيقا، أو نحو فلسفة علمية، كلها أسماء متعددة لمسمى واحد.

كما ينكر وجود الميتافيزيقا التأملية، ويعلن رفضها، فيقول: الميتافيزيقا بالمعنى الذي يردده المتدينون مرفوض، وهي تلك المحاولات التي يحاول بها أصحابها أن يخبروا بأحكام إيجابية عن أشياء غير محسوسة(١)، ولا ملموسة حتى ترى بالعين المجردة.

ولأن كان من الروح على هذا النحو إلا أن البحث في ثنايا كتاباتهم يقدم موقفًا لهم من الروح غاية في الغرابة، أما لماذا؟

فلأنهم ينكرون وجوه بالكلية، فيقولون: أنا مبصر بالعين، وأسمع بالأذن، وأسعى بالقدم، وأبطش باليد، وأتذوق باللسان، وهو الذي عليه جمهرة الفلاسفة، فلماذا يحاول أصحاب الميتافيزيقا المتدين للضغط علينا حتى ندلي بشهادات كاذبة تحسب لصالح مجهول غير معروف معدوم غير موجود هو الروح(٢).

وكيف يستسيغ الإنسان العاقل قبول فكرة الروح، مع أنه لا مكان لها في العقل، ولا في الوهم، فأنا حينما أنام معناه أن قوايا خارت، وحين استيقظ معناه أن عضلاتي استردت قواها، فكيف أبحث عنها؟ ولماذا أبحث عنها وهي غير موجودة أصلاً(٣).

ولم يقف الأمر عند حديثهم عن الروح بإنكار وجودها، وإنما تجاوزوا بإنكار عملها فجمعوا بين مشكلات ثلاثة أحداها مشكلة وجود الروح، وثانيها مشكلة تعريف الروح، والثالثة مشكلة التوظيف الأمثل للروح.

ومن يتدبر ما ذهب إليه هؤلاء يجد فيه الكثير من الضغوط التي تمارس ضد النصوص الدينية، وهم لا يعبئون بها حتى قال قائلهم: لقد مارس رجال الدين كل

---

(١) راجع: خرافة الميتافيزيقا، ص١١، وموقف من الميتافيزيقا، ص٤١، من الملاحظ تأثر د. زكي نجيب محمود بالوضعية الأوروبية.

(٢) الوضعية في ثوبها القشيب، بيتر زان، ص٤٩، ترجمة: فؤاد نصحي، ط دار الأقصى ١٩٩٣م.

(٣) الفلسفة الحديثة المعاصرة، مشكلات وحلول، د. صالح سيد صالح، ص٩٤، الطبعة الثانية، مكتبة شروق ١٩٧٥م.

سلطاتهم على العقل المفكر حتى يجبروه على التسليم لهم، لكنه أبى أن يستسلم أو ينهزم، وإذا كان ميدانهم الذي يلاقون العقل فيه قد ضاق بهم، فلا شك أن صدورنا جميعًا لم يعد فيها مكانًا لهم(١)، ولن ينتصر الدين على العقل أبدًا.

كما يقررون في وضوح تام أن الروح التي يقوم بها المتدينون لا تخرج عن دعابة سخيفة لا تستقيم مع الواقع، ولا يشهد لها شيء من علم، بل على العكس من ذلك أن الروح جرت في الأساطير القديمة فصارت مبعث قلق لدى القائلين بها، فالطوطمية يعتقدون بوجود الأرواح التي تسعى للثأر، وتطالب بالانتقام، وكذلك الحال عند الأساطير اليونانية والهندية، والباحث المعرفي يرفض التصديق بالخرافات، ولا يقبل أن يكون عقله ميدان تعبث به الأوهام(٢).

وبعيدًا عن التأثرات بالأفكار الدينية، فإن أغلى ما يمكن التمسك به من الناحية القيامية هو إعلان الحرب على كافة الأفكار الرجعية التي تسعى لأن يكون الإنسان عبدًا لمجموعة من الأفكار التي لا قيمة لها، ولا تقدم نفعًا في المجال المعرفي، فليس مفكر للقرن التاسع عشر كمفكر في القرن العشرين، وإننا نعتقد أن الروح لا تزيد عن كونها انعكاسات لا إرادية لعمليات داخل المخ، إطاراتها كلها محسوسة، ويمكن قياساتها والتجريب عليها في العديد من الظواهر المادية(٣).

إذا كانت الروح بهذا القدر من الحركة، والانتظام، والانتقال على ما يقول به الروحانيين، فلماذا لا نراه؟ أن كل شيء في الكون يمكن رؤيته حتى الكون نفسه، كان الأقدمون يعتقدون وجود الأرواح الشريرة وحدها، فلما تقدمت عجلة الزمن بان أنه لا توجد أرواح أصلاً في الواقع، وإنما هي عمليات عقلية قام بها المخ

---

(١) المملكة الأخلاقية في التراث الإنساني، أيفين جورج بيتر، ص٣٧، ٣٨، ترجمة: يوسف زكريا، ط مكتبة الأقصى ١٩٩٥م.

(٢) الاتجاه الوضعي المعاصر: دراسة في الفكر الإنساني، أنطوان بلي، ص١١٦، ١١٧، ترجمة: عادل زكريا، ط مكتبة وفاء، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

(٣) الوضعية في صورها المتعالية، آرمست بينسوان، ص٤٣، ٤٤، ترجمة: يسري فوزي، ط مكتبة الجيل الجديد، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

السنوبري، ونتجت عنها عمليات أخرى من ذاتها يصعب أن تسمى بأسماء غير حقيقية، إننا نرفض تمامًا ما يدعيه الروحانيون، وما يؤكده العقليون، فلن نلقي عقولنا وتجاربنا، ولن نتناول عن خبراتنا لنكون أغنامًا لغيرنا(١)، مقيدين غير أحرار.

وإذا كان الوضعيون وبخاصة المنطقيون ينكرون وجود الروح استقلالاً، فإنهم أيضًا ينكرون وجودها على سبيل التبع، أما لماذا؟ فلأن وجودها استقلالاً لا يمكن من وجهة نظر الوضعية أن يتم التعرف عليها، وقد قادهم ذلك إلى إنكار الملائكة، وإنكار الجن، وإنكار كل ما لا يمكن أن تتم التجربة عليه، أو يخضع للقياس الكمي، أما لماذا؟

فلأن الأرواح عندهم ذات استقلال في الوهم ليس في الواقع، وكل ما يقع فيه الوهم، إنما هو وليده، ويجب أن توضع الأفكار في ميزانها الصحيح، ووضعها الطبيعي، وإذا قلنا أن الفكرة التي لا يصدقها الواقع، ولا يمكن التدريب عليها، فكرة خاطئة، فإن الروح، والقول بها وجوبًا واستقلالاً، فكرة خاطئة ويجب التنحي عنها(٢)،والابتعاد عن كل ما يُقربنا إلى تلك الفكرة.

بل ذهب الوضعيون إلى أبعد من هذا فيقررون أن الروح لم ترد إلا في الأعمال العبثية والأساطير التي امتلأت بالجوانب المتفككة من الفكر نفسه، فمثلاً الأسطورة المهافيرية(٣) قامت على أساس الروح.

---

(١) زعماء الوضعية في القرن العشرين، إيميل فوشر، ص١١٦، ١١٧، ترجمة: عادل عبد العظيم، ومراجعة خيري الدبشة، وراجع: الوضعية المعاصرة، د. حمودة حسن إسماعيل، ص١١٧، ١١٨، وراجع: الوضعية بين المعقول واللامعقول، د. محمد حسيني موسى الغزالي، ص٢٠٨، ٢٠٩، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦م.

(٢) الوضعية بين الدين والفلسفة، الأستاذ/ مأمون حسن المأمون، ص٨٧، ٨٨، ط مكتبة الهدى ١٩٦٧م.

(٣) هي أسطورة قامت عليها الديانة الجانتينية ومعناه أن مهافيرا البطل الأسطوري كان مع جملة من الآلهة، وهذا الإله الذي ارتضى أن تتم عليه عملية الذبح والتقطيع، فمن أنفاسه نشأة السماوات، ومن جسده نشأة الأرض، ومن دمه نشأة البحار، ومن شهيقه نشأة الأرواح. راجع:

لكن السؤال أين هي الروح؟ هل هي في فريق الحفاه أتباع مهافيرا؟ أم في فريق العراة أتباع مهافيرا!؟

إننا نعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الحديث عن الروح إنما هو حديث خرافة، وأن العقل الواعي متى أفاق من غفوته، واستيقظ من غفلته، كان لابد أن ينكر وجود الروح(١).

وعلى هذا فإنهم يُكثرون في البحث عن كيفية استبعاد كل العناصر الميتافيزيقية التأملية من المعرفة الإنسانية(٢)، بزعم أنها لا يمكن إثبات صدقها أو كذبها.

وفوق ذلك يقولوا إذا كانت القضية التي تبحثها الميتافيزيقا التقليدية ــ في المعرفة ــ من ذلك النوع الذي تجرى به ألسنة الناس دون اعتقاد صحته من خطئه، فإن أخطار هذه القضايا على المعرفة الإنسانية لا يمكن تفاديها، أو معالجة ذات الأخطار الناتجة عنها، بدليل أنه ما من مجتمع يعتقد أفراده هذه الأفكار إلا وعاشوا في التخلف عن ركب الحضارة بمسافات طويلة؛ لأنه مجتمع يعيش على الخرافات ويعتمد على الأوهام، وتسيطر عليه اعتقادات أسطورية، وهي كلها من ألد أعداء العلم(٣). ومن ثم يجب استبعاد الميتافيزيقا التأملية والتي تشمل الروح عن التفكير العلمي، ووضعها في مجال القضايا التي تعجز عن إثبات صدقها. وبعيدًا عن هذه الأفكار تبقى الروح بين إثبات النقل المنزل لها، وإنكار الوضعية لها.

الجانتينية وفلسفتها الإنسانية، الأستاذ/ حسن رمزي حسن، ص٢٤، ٢٥، مكتبة عادل رشدي ١٩٦٧م.

(١) الوضعية رسالة تدميرية، د. بيومي السيد رمضان، ص٨١، ٨٢، ط مكتبة نهر النيل ١٩٨٤م.

(٢) الفلسفة الحديثة، د. عبد اللطيف محمد نصر الله الفقي، ص١٤٧، ط عام ١٩٥٧م.

(٣) الوضعية وقضية العلم، د. فايز عبد البديع صبري، ص١٤٧، ط الأولى، دار فواز ١٩٥٧م.

ونحن المسلمين نؤكد أن ما ذكره القرآنه هو الحقيقة التي لا مرية فيها، وما جاء به الحديث الشريف هو الذي يجب اتباعه، فليس إلا الالتزام بكتاب الله تعالى، والسعي نحو الأهداف العليا؛ لأن الله تعالى جعل الكتاب تبيانًا لكل شيء، وجعل السنة الشريفة مع الكتاب تشرح مبهمة، وتفصل مجملة، وتعينه على فهمه، والله غالب على أمره ولكن أكثرهم لا يعلمون.

ب) المناقشة:

من السهل مناقشة الفكرة على جوانبها المختلفة، لكن من الصعوبة أن تكون تلك الفكرة متعرضة للعقيدة الإسلامية، أما لماذا؟ فلأن إنكار الروح إنكار لما ثبت علمه بالضرورة وذلك في قوله تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَاأُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(١).

فالمخاطب هنا سيدنا محمد ﷺ فيقال له ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم الروح من أمر ربي وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلا(٢)، وهذه إشارة واضحة وثابتة لوجودها. وفيه إنكار لوجود الملائكة التي هي أرواح خلقها الله وذلك في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾(٣).

وقد جاء في تفسير الجامع لأحكام القرآن أن الملائكة تهبط من كل سماء إلى الأرض ويؤمنون على دعاء الناس، إلى وقت طلوع الفجر، والروح صنف من

---

(١) الإسراء: الآية (٨٥).

(٢) راجع: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، ج١٥، ص٦٦ــ٦٨، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ــ٢٠٠١م.

(٣) القدر: الآية (٤).

الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم، وهم أشرف الملائكة وأقربهم من الله، ــ وقيل أنه جبريل ــ فيهبطوا بكل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة[١].

والثابت عند المسلمين جميعًا أن جبريل واحد من الملائكة المقربين من الله، وذكر قوله تعالى الروح للدلالة على طبيعة الملائكة الذي منهم ملك الوحي، وفي هذا بيان وتبيان لكل شيء. غير أني سأناقش فكرة إنكار الروح من خلال ما يلي:

١ـ النقلي:

وردت مادة (ــر.و.ح ــ) حوالي ست مرات تقريبًا[٢] ــ كما سبق ذكره ــ. وقد جاء الحديث عن النفخ في الروح سواء في القرآن الكريم، أو السنة، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[٣].

وقد جاء في تفسير القرآن العظيم أن مريم بنت عمران التي حفظت فرجها وصانته فنفخنا بواسطة جبريل، وذلك عندما بعثه الله إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام، وصدقت بقدر ربها وشرعه وكانت من القانتين[٤]. وفي هذا بيان واضح للروح، والنفخ فيها يدل على وجودها.

ومن السنة المطهرة قول الرسول ﷺ (إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)، ج٢، ص١٣٣، تحقيق: أحمد البردوني، ط دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ــ١٩٦٤م.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٣٢٦.

(٣) التحريم: الآية (١٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت:٧٧٤هـ)، ج٨، ص١٧٤، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ــ١٩٩٩م.

بأربع كلمات فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار)[1].

٢ـ العقلي:

ومن المعقول أن الإنسان جسد وروح، فإذا غلب الجسد قواه واستنفذ طاقته فإنه يخور، لكن تبقى الجوهرة القائمة في صدره متحركة، بدليل إننا في المنام نرى أشياء بعيدة دانية، فكم رأينا أنفسنا نؤدي فريضة الحج، نطوف البيت، أو نعتمر، ونزور الرسول ﷺ، فإذا ما استيقظنا وجدنا أنفسنا نيامًا في فراشنا، لم تتغير درجة الدفئ فيها، إذ كان انتقالنا ليس انتقال جسد، إنما هو انتقال الروح، فدل على وجودها فينا، ومن المعقول والمنقول أيضًا قوله ﷺ (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)[2].

فقد يلاقي الواحد منا شخصًا ليس له به إلف أو عادة، ومع هذا يلتقيان ويشعر كأنهما قد ارتبطا بعلاقة ممتدة إلى سنوات بعيدة، وما ذلك إلا أن الرسائل المتبادلة بين الأرواح كان لها عمل متواصل.

٣ـ العادة:

ومن ناحية العادة، أن الإنسان حينما ينام تبدأ حركات جسمه اللاإرادية تؤدي أعمالاً قد تكون متقنة مع أنها غير مراده، فقد يرفع النائم ساقه في عرض الطريق، فيخيف دابة لو مرت لوطئت بقدمها رأس طفل فقتلته، هنا تشعر أن الروح موجود بالجسم، وأنها حركت الساق بلا إرادة لتؤدي عملاً تثاب عليه، مع

---

(١) صحيح البخاري، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ج٤، ص١٣٣، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) صحيح مسلم، باب الأرواح جنود مجندة، ج٤، ص٢٠٣١، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

أنها لا تقصده، والشواهد على ذلك كثيرة، وقد يسهل المرء النائم، وهو لا يدري ما سعى له، فيمر به البعض، أو العيارين فيظنونه أنه يقظًا يوشك أن يطاردهم، فيسارعون بالهرب، فينجوا هو ومن معه، وذلك حكمة إلهية، أفلا يدل ذلك على وجود الروح واستقلالها عن البدن، وتعمل بداخله عمل لا ينقطع سواء في الرؤية المنامية الصالحة المشار إليها بقوله ﷺ (لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال ﷺ الرؤيا الصالحة)[1]، وكذلك قوله ﷺ (الرؤيا الحسنة، من الرجل الصالح، جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة)[2].

بل إن الظواهر القرآنية تدل على أن المرء يحاسب على ما قدمت يداه في يقظته، ولما كان الجسد مادة طينية ساكنة، فإن الذي يحركه هو الروح الخفيفة اللطيفة التي تسكنه، ومجموع الروح والجسد، هو الذي يقال عليه لدى المناطقة ما الإنسان، فإنك إذا سألت ما الإنسان؟ أجيب الإنسان حيوان ناطق، والجزء الحيواني القائم في المادة، والناطق هو المعبر عن الروح؛ لأن الموتى لا ينطقون بل ولا يسمعون، ولا يتكلمون.

ومما يدل على فساد أقوال الوضعية قولهم بأن الجمل الفارغة تعتبر غير مقبولة، والسؤال هنا الآن بم نحكم على الجمل الفارغة، والجمل الصادقة؟ والجواب: أن الجمل الصادقة هي التي تشهد لها الخبرات، والتجارب، وبنفس المقياس فإن الدليل على وجود الروح وهو المقياس والتجارب والأمر في الحالتين سواء[3]، حيث يتساوى الخبرة والتجارب في إثبات الروح.

لست أشك في أن منكري الروح قد خانهم التوفيق؛ لأن إنكارهم للروح قام على أساس أنها أمر غير محسوس، ويجب أن يتبعه إنكار وجود العقل أيضًا؛ لأنه

---

(١) صحيح البخاري، باب المبشرات، ج٩، ص٣١، دار طوق النجاة.
(٢) صحيح البخاري، باب رؤيا الصالحين، ج٩، ص٣٠.
(٣) راجع: الاستعمار وصلته بالفكر الحديث، د. محمد البهي، ص١٦٥، ١٦٦، وراجع: المعرفة الإنسانية وعلاقتها بالآيات القرآنية، د. يسري حسن خالد، ص١١٤، ١١٥، ط مكتبة الوادي الجديد ١٩٨٥م.

غير محسوس، وإنكار وجود الوعي بنفس المقياس، بل وإنكار ما أسموه بالخبرات والتجارب الشخصية؛ لأنها إن وقعت فمن الذي يحفظها؟. أيحفظها البدن وهو كتل ساكنة أم العقل، ولابد فيه من روح سيارة، أم الفهم والوعي، ولابد لكل منهما من وجود الذات العارفة التي تدور بينها الأمور، وليس لها أن تنفرد عنها، أو تستقل بحيث لا ترتبط بها.

بل أحسب أن هؤلاء قد خانهم التوفيق مرة تلو المرة، أما لماذا؟ فلأن الإنسان عند نومه تفارقه الروح التكليفية بدليل أن أذنيه تكون مفتوحين، ولا يسمع، رغم وجود الحوارات المتعددة حوله، وما ذلك إلا لأن الروح في مستودع بعيد قد سيطر عليها النوم، وسمي هذا الانفصام المؤقت بالموت، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾[1].

وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ أنه قال: (اللهم باسمك أحيا وباسمك أموت، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)؛ لأن النوم هو الموتة الصغرى[2]، ولذلك قال ﷺ باسمك اللهم أموت، يعني أنام.

فدل الأمر على أن الموتة الصغرى فيها خروج الروح التكليفية الروحية، وإذا عكسنا الأمر في الانفصام التام بين الروح والجسد عن طريق الموت تبين أن كل منهما له استقلال ذاتي، وأن كل منهما له عوارض مشخصة لا يمكن أن تحل

---

(١) الأنعام: الآيات (٦٠)، (٦١).
إن الروح إذا خرج من البدن في المنام تبقى فيه الحياة، ولهذا تكون فيه الحركة والتنفس، فإذا انقضى عمره خرج روحه، وتنقطع حياته، وصار ميتًا لا يتحرك ولا يتنفس. راجع: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن أبي بكر القرطبي(ت:٦٧١هـ)، ج٧، ص٥، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ـ١٩٦٤م.

(٢) راجع: كتاب شرح صحيح مسلم، حسن أبو الأشبال، باب شرح حديث أن النبي ﷺ كان إذا أخذ مضجعه، ج٤٩، ص٦.

إحداهما محل الأخرى حتى في الحالات المرضية؛ لأن ذلك من السـنن الإلهيـة، وسنن الله لا تتبدل ولا تتغير، وإنما هي ثابتة مطردة إلى يوم القيامة.

ثانيًا ــ موقفهم من الخلود (الدار الآخرة):

جاءت الشرائع الإلهية بالحديث عن الدارين الدنيا والآخرة، ولما كانت دار الدنيا يعيشها الناس، ويتعاملون معها، فلم تكن بحاجة إلى أدلة كثيرة تتحدث عنها؛ لأن الحس شاهد بها وأحكامه قائمة فيها(١).

ولأن الدار الآخرة غير مرئية، والحديث عنها من الغيبيات التي أخبر الله بكثير منها، فصار المخبر به مسموعًا داخلاً في نطاق السمعيات، غير أن هؤلاء الوضعيين لا يقرون باليوم الآخر زعمًا منهم أنه غير محسوس، ومشكلتهم الإقرار بما هو محسوس، أو تقع لهم به خبرة شخصية، أو يمكن التجريب عليه طبقًا للقواعد الوضعية. ومن هنا نشأ الخلاف بينهم وبين أصحاب العقيدة الدينية(٢).

وقد استخدمت المنهج العلمي، فعرضت الفكرة عندهم أولاً، ثم المناقشة لها طبقًا للقواعد العلمية، وهأنا ذا أحاول الوفاء به على النحو التالي:

أ) العـــــرض:

يذهب أصحاب الوضعية في مستوياتها إلى استعمال لفظ الروح والخلود على بعض الجوانب التي لا تجد لها سند يدعمها، وحيث عرضت موقفهم من الروح، فتبقى قضية الخلود (اليوم الآخر) وتدور شبهاتهم حول نقاط:

---

(١) بالحس هنا هو ما يقع به المعرفة الحسية، وهو أنواع خمسة: اللمس، الشم، الذوق، البصر، السمع. وقد فرق الفلاسفة المسلمون بين هذه الحواس، أو القوة الحساسة، من ناحية عملها وتوظيفاتها، ما يرتبط بها من ناحية الموضوع والدرجة، بجانب المفهوم والغاية، وينظرون إليها، ويتناولونها تناولاً بحثيًا باسم القوة الحساسة. راجع: تلخيص كتاب النفس، ابن رشد، ص٢٠ــ٥٨، حيث أخذ في الحديث عن القوى الداخلية، أو الحواس الخمس غير الظاهرة، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، ط مكتبة النهضة المصرية عام ١٦٥٠م؛ وراجع: كتاب النفس، ابن باجة، ص٦٢ــ١٢٩، حيث تناول الحس المشترك، تحقيق: د. محمد صغير حسن المعصومي، ط دمشق ١٣٧٩هـ ــ١٩٦٠م.

(٢) عقيدتنا الدينية التي نزلت تعاليمها من عند الله تعالى فيها الإيمان باليوم الآخر، ويستدل عليه بظاهر حديث رسول الله ﷺ (أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله،واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان والإسلام والإحسان، ج١، ص١٥٤، رقم (٨).

الأولى ــ ضرورة استبعاد الحديث عن اليوم الآخر:

يذهب أحدهم إلى أن المتدينين يخدعون الناس بجمل من المفاهيم المغلوطة، ويمارسون الكذب عليهم مستخدمين الميتافيزيقا الزائفة، ومن حديثهم عن هــذه المسألة ما يتعلق بما أطلقوا عليه اسم الثواب والعقاب، في عالم آخر، والحق أننا لا نعتقد وجود شيء من ذلك، وإذا كان المتدينون أو أصحاب الميتافيزيقا يصرون على ما يتحدثون عنه له وجود فعلي، فليقدموا لنا دليلاً علميًا على وجوده، تتفق معه التجربة وتشهد له الخبرات(١). ومن ثم فإنه يؤكد على تلك النقطة الأساسية ويعتبر التمسك بها نوعًا من الخرافات والأوهام.

لقد ظن الوضعية أنهم إذا استبعدوا الدين عن منطلقات الحياة، حققوا العديد من النتائج اعتقادًا منهم أن الدين انتهت صلاحياته منذ انتهى الرسل، وأن يسوع الإله الذي مات وصار من بين الأموات لم يتحدث عن الميتفافيزيقا، وإنما تحــدث عن موعظة الجبل وعاش على الجلجُثة(٢).

وقد نبه أحد الكُتاب إلى عملية استبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العلم محله، وفقًا لقانون الأحوال الثلاثة، والذي ينتهي إلى أن البشرية تمــر بمراحــل ثلاث، المرحلة اللاهوتية ثم الميتافيزيقية، ثم الواقعية، وهذه الأخيرة هي المرحلة

---

(١) الوضعية ومشكلات الميتافيزيقيا الزائفة، أندريا بريير، ص٧١، ترجمة: يســري فطــين، ط مكتبة جبيل، بيروت ١٩٨٤م.

(٢) الجلجُثة: جبل في أرض فلسطين حوله سهول فيها حديثة صغيرة تسمى حديقة الجلجُثة تنتشر فيها مزارع الزيتون، وروايات الكتاب المقدس في العهد الجديد تتحدث عنــه، وكيــف كــان يسوع يقضي طفولته في هذه المنطقة، وكيف كان يتعامل مع نباتات تلــك الحديقــة، أو ذات الجبل.
راجع: موعظة الجلجُثة، القس بهجت صموائيل، ص١٤٨، طبعة كنيسة الأنبا بولس ١٩٨٥، وراجع: موعظة الجيل، أنور مقاريوس، ص١٦٨، ط كنيسة الشهيد العظيم مــاري جــرجس أسبورتنج ١٩٨١م.

العلمية التي ستصل إليها البشرية، وهي المرحلة التي يقضي فيها على كل مظاهر الدين،وكل اثر له في الحياة ليتفرد العلم الوضعي بالقيادة(١).

ولأن الوضعية يؤمنون بما هو واقع في الخبرات والتجارب، واليوم الآخر، لا يمكن التجريب عليه بمقاييس التي ذكروها، فقد انتهوا إلى أن الحديث عن الخلود حديث خرافة، والتمسك به يمثل جناية على العلم الوضعي، يؤكد أحد زعمائهم أن رجال اللاهوت كانوا في الماضي يشغلون الناس بحياة أخرى يقع لهم فيها خلود يحاسبون فيها وينعمون خلالها أو يعذبون، والحق أنها لا تقل عن الخرافات التي ساقها رجال اللاهوت في الماضي، والحاضر، وإذا كانوا لم يستطيعوا تقديم دليل واحد على ما زعموه في الماضي، فإن ما يزعمونه في الحاضر يشهد أنهم هراطقة دجالون(٢).

لقد نفضوا أيديهم تمامًا من الحديث عن الحياة الآخرة باعتبار أنها لا تقع في نطاق التجربة ولا الخبرات الذاتية، وأكدوا على أن المزاعم التي يطلقها اللاهوتيون حول هذه المسألة لم توجد لها أصول ثابتة في الكتاب المقدس الذي امتلأ بالدنيا وشهواتها، واندفع كتاب العهد القديم إلى تحريك الرغبات الساكنة، وإحياء الشهوات النائمة، وللأسف الشديد لم يستطع ياهو العجوز أن يفعل شيئًا أمام هذا المد العبثي(٣).

ويبدو أن دعاة الوضعية ركزوا على هذه النقطة من منظور أنهم لم يروا الحياة الآخرة،ولم يسمعوا عنها إلا من خلال المصادر التي يرددها آباء الكنيسة،

(١) نظرات في الفلسفة الحديثة، د. أحمد عبده حمودة الجمل، ص٢٧٦، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

(٢) راجع: الواقعية في الفلسفة الوضعية ومشكلاتها الميتافيزيقية اللاهوتية، جورج بلانت، ص١١٦، ١١٧، ترجمة: حنان راشد، ط دمشق ١٩٧٥م.

(٣) راجع: الأصولية اليهودية ومشكلاتها المعرفية، جورج هيمان، ص٣١، ٣٢، ترجمة: محمود زكريا، ط القاهرة ١٩٦٤م.

أو يتعامل معها كتاب العهد القديم الذي يمثل اليهودية السياسية في ثوبها المعاصر الجديد(١).

إن المطالع لأفكار الوضعية يراها قد ركزت على فكرة الوجود المادي، وبالتالي تخلو عن الموت، مع أنهم مدركهم، ورفضوا القبر مع أن الكل داخل فيه، وكذبوا بالحياة البرزخية مع أنها حقيقة في النصوص الشرعية(٢).

من البين أن الوضعية حين رفضوا الدار الآخرة رفضوا الخلود الذي أشارت إليه آيات القرآن الحكيم، ويتعلق بخلود أهل الجنة بالجنة وخلود أهل النار في النار وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(٣).

وتلك الآيات إشارة واضحة بيّنة على الخلود الدائم للشقي العاصي في النار المستمر، والخلود الباقي في الجنة للمطيع المؤمن.

الثانية ــ الضغط على النصوص الدينية:

يعتقد مذهب الوضعية أن كل النصوص الدينية التي يتفوه بها اللاهوتيون لم تسلم لهم فيهم، فالذين مارسوا عمليات التعذيب، والقتل، وجعلوا المقصلة المتعلقة

---

(١) اليهودية المعاصرة تعتمد على العهد القديم كبديل عن التوراة، والتلمود بديل عن الألواح والبروتوكولات كبديل عن الصحف. راجع: علاقة اليهودية السياسية باليهودية الدينية وموقف الإسلام منها، الباحث السيد عبد الكريم سعيد، ص١٠٦، ١٠٧، رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الإسلامية ٢٠٠٥م.

(٢) وردت كلمة برزخ في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، في قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ "المؤمنون: من الآية ١٠٠"، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَـذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ "الفرقان: الآية ٥٣"، وفي قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ "الرحمن: الآية ٢٠".
فالآية الثانية والثالثة كلاهما البرزخ الدنيوي، أما الأولى فهي البرزخ الأخروي، وبالتالي فالبرزخ حقيقة علمية، وعقيدة دينية، ومسألة واقعية على الأقل في الصورة الخارجية.

(٣) هود: الآيات (١٠٦ــ١٠٨).

بمحاكم التفتيش رغم إرادتهم، فكيف يصدق عنهم مادة روائية جاءت على ألسنتهم عن نوع من الخلود، لنوع من البشر، أو حياة أخرى اخترعوها بأنفسهم دون أن يقيموا عليها دليلاً واحدًا تجريبيًا، والحق أن مسئولية المعارضين للسلطان الكنس كانت تقع في المقام الأول على أعناق الكنيسة، رغم سعيها مؤخرًا إلى التنصل من المسئولية(١).

بل يعتقد الوضعيون على اختلاف مستوياتهم أن النصوص الدينية التي تتحدث عن الحياة الآخرة لا تخلو من سذاجة، وطفولة عقلية، أما لماذا؟ لأنها كتبت بأيدي آثمين، وعقول لا تستقيم مع أنظمة الحياة، والأكثر من ذلك أن الذين تصدوا لكتاباتهم لم يكن لديهم علم بالقوانين الطبيعية، فجمعوا جملة من الخرافات والأساطير وأدخلوها في صورة دينية(٢).

لقد كانت غايتهم الضغط على النصوص الدينية المسيحية، فيما إذا تخلى الناس عنها سقطت الديانة من أساسها، وهو ما يسمى رد الفعل المنعكس، ويعبر في ذاك الوقت نزعة انتقامية إن لم تكن من رجال اللاهوت أنفسهم، فإلى الدين الذي ينتسبون إليه.

ويعتقد أحدهم أن فكرة الخلود قد نشأت لدى الجماعات اليهودية أثناء التفرق والشتات، بُغية أن يحققوا طفرة تسمح لمن نال العذاب، أو عاش في كنفه، أن يحيا حياة أخرى. فقد أبدى المصرين على الحياة يمكن أن يكون فيها بقاء بعد أن خرب العالم، ويستقبله (ياهو) العجوز مستبشرًا مهللاً، فللأسف الشديد إنها فكرة غير مقبولة، كما أن الذين كتبوها لم يكونوا مثقفين عارفين لها(٣).

---

(١) محاكم التفتيش، د. رمسيس عوض، ص١٢٢، ط دار هلال بالقاهرة ٢٠٠١م.

(٢) صليب المسيح، جون ستوت، ص٣٨، ترجمة: نجيب كركور، مراجعة: إبراهيم عبد المسيح، ط مكتبة دار الثقافة.

(٣) الأصولية اليهودية، إيماويل هيما، ص٥١، ترجمة: سعد الطويل، مراجعة: د. جمال أحمد الرفاعي، ط الهيئة المصرية للكتب، سلسلة الألف كتاب، الكتاب الثاني رقم (٢٩٧).

أن الضغط على النصوص الدينية التي تبناها الوضعيين انصب على الفكر المسيحي والغاية منه أن يفتقد عناصر وجوده، بل ويفتقد مقاوماته، وإذا افتقد كلا الطرفين (المقومات ــ والوجود) فإنه ينهار، ومتى انهار سقطت الأفكار التي تدور بين ثناياه ومن بينها الخلود والدار الآخرة بعد الدار الأولى.

ويُعزي أحد مفكريهم إنكار الوضعية للحياة الآخرة إلى الصياغات الهزيلة التي رددها آباء اللاهوت، أو قاموا عليها من المبتدأ، فيقول أن النصوص الدينية التي تكلمت عن حياة بعد التي نعيشها لا يمكن قبولها، أما لماذا؟ فلأن الذين سجلوها هم في الأصل أعداء الإنسانية، الذين يسعون لتدميرها حتى يكونوا وحدهم في الدار التي تصوروها، وهي نزعة تعبر عن الأنانية المفرطة، وتتمثل فيها الأساطير الزائفة(١).

والبحث المعرفي حينما يقف على المصادر التي استقى منها الوضعية أحكامهم، لا يجد صعوبة عندما يرى أحد زعمائهم وهو يصرح بأن كافة النصوص اللاهوتية التي تتحدث عن حياة غير التي نعيشها تعوزها الموضوعية، كما تفتقد الحس والحركة؛ إنها نصوص جامدة، وتعبر عن أفكار سطحية، ثم يعلن قائلاً يصح لي أن أرفع صوتي بكل ما أملك من قوة قائلاً كفوا عن العبث فالحياة هي الحياة، ولا شيء خلف هذه الحياة(٢).

لقد ذهب أصحاب الوضعية في إنكار الدار الآخرة مذاهب شتى، واستخدموا لها طرائق قددا، بل أنهم لبسوا لغيرهم كل ملبس ينتهي إلى الزيف والضلال، وفي المقابل ألبسوا أنفسهم كل ملبس ينتهي إلى الإيمان بحقيقة العلم والتأكيد عليه، والكفر فيما سواه، والتخلص منه، والوقوف في مواجهته.

الثالثة ــ إعلاء شأن التجربة:

(١) الوضعية والحقيقة الواقعية، جورج بلانت، ص١٠٨، ١٠٩، ترجمة: محمد خالد النبوي، ط دمشق ١٩٨٥م.

(٢) الأصولية الوجودية، ديفيد لاندو، ج١، ص٣٥، ترجمة: مجدي عبد الكريم، ط مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

يقرر الوضعيون أن التجربة سر الوجود، فالرب في الكتاب المقدس لم يخلق خلقًا من ذاته، وإنما جرب، وكانت تجاربه تفشل أحيانًا كثيرة، وربما تنجح في حالات قليلة، وهاهو الكتاب المقدس الذي يتمسك به تلك اللاهوتيون فيقول (في البدء خلق الله السماوات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمًا، وروح الله يرف على وجه الماء، وقال الله ليكن نور فكان نور، ورأى الله النور أنه أحسن وفصل الله بين النور والظلمة، ودعى النور نهارًا، والظلمة دعاها ليلاً، وكان مساء وكان صباح يومًا واحدًا)(١).

فإذا كان الرب اللاهوتي نفسه قد قام بالتجربة، فلماذا يغلق اللاهوتيون الباب أمامنا ولا يسمح لنا باعتبار التجربة، وهي الفاصل في النزاع الذي يدور بيننا وبينهم، أليس من الأولى أن نتحاور حوار العلماء، أو أن يجري بيننا ما تم على أيدي الأنبياء، لماذا يريدون أن نسمع منهم، وأن نصدقهم، مع أن كل ما يذكرون لا دليل عليه، وما نذكر نحن تشهد الوقائع به(٢).

من البين أيضًا أن الوضعية حينما يرفضون التصديق بالخلود لا يعنيهم أنهم لم يروه، ولا يعنيهم منه أن النصوص التي تحمله فيها نوع من القصور، إنما الذي يعنيهم سيادة التجربة، فإن لم يكن لها وجود بينهم فلا أقل من أن توضع في إطار مذهب يجب احترامه في كافة الأمور التي نحرص على اقتنائها، حتى وإن لم نكن في الوقت الحاضر نستفيد منها(٣).

لست أشك على أن أساس وقف الوضعيون هذا الموقف الغريب، لقد أنكروا النصوص الدينية التي نشأوا فيها، ونشأت فيهم، وأنكروا الحقائق المعرفية طالما أنها لم تقع لهم بها تجربة، وأنكروا كذلك كافة النصوص الدينية ذات الاعتماد

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الأول، فقرات ١ : ٥.

(٢) الوضعية والمشكلات الميتافيزيقية، جون آير، ص١١٣، ١١٤، ترجمة: حسن شكري، ط القاهرة ١٩٧٥م.

(٣) الوضعية وأنا، إنجلز جراهان، ص١١٢، ١١٣، ترجمة: هدى فوزي، ط مكتبة القدس ١٩٨٥م.

التوثيقي، مع أنهم قالوا بمثلها فبها كانوا يملكون حصانة يسوقون بها غيرهم إلى ما يريدون أن يسوموه إياه سوء العذاب، أم أنها حركة عاقلة أرادت العبث بالنصوص، وقد استخدم أفرادها العديد من الصور، يبدو أمام الآخرين على أنهم باحثين معرفيين، وليسوا لحقائق الدين منكرين.

لقد ذهب واحد منهم مذهب غريبًا في الوضعية حينما ذكر أن إنكار الخلود ليس لأنه لا توجد معه نصوص فما أكثرها، ولكن لأنه جملة فارغة لا يمكن إثباتها بالتجربة، فإذا قلت لك باريس موجودة يمكنك أن تذهب إلى هناك ترى كافة معالمها، وأما إذا قلت لك أن باريس سوف توجد، فلا شك أنك سوف تكذبني، بل بالبداهة ستقول لي متى، وأين، ولماذا، وهي أسئلة مشروعة(١).

ومن الثابت لدى هؤلاء جميعًا إنكار الحياة الآخرة للاعتبارات التي سلفت والظنون التي استقرت، والشبهات التي تساقطت.

ومن ثم تدور مجمل شبهاتهم في إنكار الخلود وحياة الآخرة حول قضايا ثلاثة:

الأولى : لم يتم التجريب عليها ولا تقبلها الخبرات السابقة.

الثانية : أن النصوص التي تحدث عنها في التراث الديني غير مقبولة، بل تحمل الفساد من كل ناحية.

الثالثة : أن رجال اللاهوت الذين حاولوا صياغتها، والحديث عنها ليسوا بشرًا أسوياء، وإنهم أقرب إلى سلوكيات المجانين.

ب) المناقشة:

سلف الحديث عن القضايا الأساسية التي ركز الوضعيون إنكارهم للخلود واعتمدوا عليها في إنكارها، وسوف أعمد إليها في المناقشة فلا أخرج عنها اتساقًا مع المنهج الذي أخذته وقررت السير فيه وذلك على النحو التالي:

---

(١) الوضعية والمشكلات المعاصرة، جورج بيرمن بلانت، ص١٣٥، ١٣٦، ترجمة: السيدة عبدالعزيز سليمان، مراجعة: د. عمر فوزي خالد، ط مكتبة الأقصى ١٩٨٤م.

الأولى ــ ضرورة الاستبعاد:

المعلوم لدى الباحثين أن الضرورات أنواع منها الضرورة العقلية، وهي التي تكون بين المقتسمات التي لا تقبل أكثر مما قسمت إليه في النظريات، والعمليات، ويعرفون باسم البدهية العقلية،وأحكامها ثلاثة:الذاتية،والغيرية،وعد التناقض(١).

ومنها الضرورة المعرفية، وهي التي تقابل الجهل، فكل معرفة تمثل ضرورة لأنها تزيل قطاعًا من قطاعات الجهل، ومنها الضرورة الشرعية، وهي التي تلزم الإنسان القيام بأحكام الشرع طبقًا لما جاء من عند الله، ومن ثم تتعدد الضرورات بالعديد من الاعتبارات(٢).

يتحدث الوضعيون عن ضرورة استبعاد اليوم الآخر من الذاكرة، والواقع كما ينبهون إلى ضرورة استبعاده عن مجال التفكير بوجه عام، والسؤال على أي أساس أنكروا اليوم الآخر؟ فهم إن أنكروا لأنهم لم يصلوا إليه، فالقاعدة أن انعدام الدليل لا يلزم عليه انعدام المدلول، فقد يقوم بدليل آخر، كما أن فقدان الوصول إلى الموجود لا يعني انعدامه؛ لأن الوصول إليه قد يقوم بدليل آخر(٣).

ثم أن الحياة الآخرة ثابتة عندنا نحن المسلمين بالنصوص الدينية الصحيحة، وآيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة شغلت الحياة الآخرة منها مساحة واسعة، بدليل ذكرها في القرآن الكريم في مواضع متعددة، كذلك جاء الحديث عن عذابها ونعيمها فيما تتعلق بالمسئولية، والجزاء، وبالتالي فالحياة الآخرة نقلية قامت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. والقاعدة أن المثبت

---

(١) هذه الجوانب تسمى تارة باسم قوانين الفكر، وتارة أخرى تسمى بضوابط الفكر، وثالثة باسم الضرورة العقلية، والمعنى في الجميع واحد، وهذا المشترك الذي يمكن التعويل عليه في مثل هذه الدراسات من الناحية العقلية.

(٢) علماء الأصول يتحدثون عن الضروريات والحاجيات والتحسينات، كما يتحدث الفقهاء والفلاسفة، وبالتالي فكلمة الضرورة مما يقع فيه الاشتراك بين الباحثين على كثير من الوجوه.

(٣) تحدث المتكلون من الأشاعرة عن هذه المسألة في مباحثهم الكلامية في الأمور العامة تارة، وأثناء الحديث عن وجود الله تارة أخرى، وبالتالي أن هذه القضايا الجدلية التي يتحدث عنها الوضعيون ليست مقبولة من المنطق الوضعي.

لا يلزم تقديم دليل على ما أثبت، أما المنكر يلزم تقديم أكثر من دليل على ما ذهب إليه، ثم إن الحديث عن اليوم الآخر له أسباب، وله مظاهر، فإذا كان المقرر على سبيل المقابلة هو وجود الحياة الدنيا، فإن المقابل له هو وجود الحياة الآخرة وإلا لم يستقيم القول.

والقاعدة أن المتماثلين في الوصف لابد أن يتحققا في الوجود، وإذا كان في الحياة الدنيا قد وجدت، ونعيش لحظاتها، فإن الآخرة سوف توجد وسيعيش الناس لحظاتها،وترى عيونهم ما كذب به ألسنة المكذبين، ثم أن الحاجة للآخرة تقوم على جوانب عديدة، منها:

١ ــ الضرورة النفسية(١):

وهو يقرر أن عقيدة الحياة بعد الموت مسألة قام عليها الدليل النفسي القوي، فإن الإنسان ترتبط به جملة من العادات الباطنة، فالظمأ مثلاً يدل على الماء، وإلا كيف يزعم الجانب النفسي أنه واقع في الظمأ، بل إن الظمأ يدل على علاقة باطنة بين الإنسان من جهة، وبين الماء من جهة الآخر(٢).

---

(١) المراد بالنفس ما يتعلق بالبناء الداخلي للإنسان المكون من روح، ونفس، وجسد. وبناء عليه فلابد من إشباع تلك الجوانب والحديث معها.

(٢) وهذه العلاقة تشهد بها الوقائع بها الوقائع الحياتية، وتتحدث عنها الجوانب النفسية، والله سبحانه قد صدور هذا الجانب تصويرًا معجزًا حينما قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ "النور: الآية ٣٩".

يقول الزمخشري (شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله، وتنجيه من عذابه، ثم تخيب في العاقبة أمله، ويلقي خلاف ما قدر، بسراب يراه الكافر بالساهرة، وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيقتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال لهم فيهم عاملة ناصبة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وقدمنا إلى ما علموا من عمل فجعلناه هباء منثورًا). راجع: الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص٢٤٣، ط دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

وهكذا صورت الآية الكريمة الجانب النفسي الذي أحس به الكافر حيث حسب الماء بعد ما غلبه الظمأ، فلم يجده ماء ولكن وجد عاقبة ما صنع من أعمال خسيسة.

ويقرر الجانب النفسي أن هناك علاقة مصيرية بين الإنسان والحياة الآخرة منذ أقدم العصور، ويؤثر تأثيرًا قويًا على طلاب الشر، وهذا الواقع نفسه يقرر إنكار وجود العالم الآخر، وإنكار الحاجة النفسية إليه، فهذا يمثل نوعًا من الجهل والتعصب. يقول أحد المفكرين: إن الذين ينكرون وجود حاجة نفسية عظيمة وهي الحياة الآخرة مثل هذه الحياة الدنيا زاعمين أنها باطلة، هم من أعجز الناس حقًا عن تفهم أي واقع على سطح الأرض، بعد هذا فلو كانوا يزعمون الفهم في الواقع فلا أدري بأي دليل، وعلى أي برهان[1]؟.

وبناء عليه تكون الحاجة النفسية شاهدة على ضرورة وجود اليوم الآخر، لقد فطر الله النفس الإنسانية على طلب الخير والتماسه، وترك الشر، وعدم الاقتراب منه، وفي ذات الأمر فطرت على تحقيق السعادة، فمن مات مظلومًا مهضومًا في دار الدنيا، وهو يعلم أنه مظلوم، فإن وجود الحياة الآخرة يحقق له الفرصة في استرداد حقه، وتعطيه الأمل الكبير، وهو ما يدعم قواه النفسية، ويؤكد المرة تلو المرة بأن الحياة الآخرة ضرورة لتحقيق السعادة الإنسانية.

٢ ـ الضرورة الأخلاقية:

خلق الله الإنسان مميزاً بين الخير والشر، والصالح والطالح، والظلم والعدل، وهذه المبادئ الفطرية يتساوى فيها الناس جميعًا، وقد عني بها مفكروا الإسلام الأوائل، فدرسوا جانبًا منها تحت مسمى الأفعال الإنسانية[2].

وما دام الإنسان قد فُطر على التمييز بين الخير والشر، والنافع والضار، فإنه يتميز بهذا عن غيره من باقي الكائنات الأخرى، وإذا كانت القاعدة أن بين

(١) الإسلام يتحدى: مدخل إلى الإيمان، أ. وحيد الدين خان، ص٨٣، ط الرابعة ١٩٧٣م.

(٢) راجع: المواقف، عضد الدين الإيجي، حيث تناول المسألة من الحديث عن أفعال الله تعالى، وأفعال الإنسان، وبيّن أن هناك أفعال يستحسنها الفرد ويُقبل عليها، وأخرى يستقبحها فينفر منها، وثالثة أفعال ما بين الإقبال والإدبار، ثم ينتهي إلى الفعل الإلهي، وذلك في الموقف الخامس من المواقف، المرصد السادس في أفعال الله تعالى، وأفعال العباد، ط مكتبة المتنبي بالقاهرة.

الكائنات الغير إنسانية تطبق فيها هذه المبادئ الأخلاقية، فإن وجودها في بني الإنسان أولى ليمثل صورة من صور الحاجة إلى الآخرة.

يقول أحد الكُتاب: إن فطرة الإنسان تميز بين الخير والشر، الصالح والطالح، الظلم والعدل، وهذه الفطرة هي التي تميز الإنسان عما سواه، ولكن هذا هو الإنسان الذي كرمه ربه يهدر فطرة الله أكثر مما يتمتعون بها، إنه يظلم بني جنسه ويوجه إليهم كل شر، إن الحيوانات لا تظلم فصائلها، لكن الإنسان أصبح يفترس أخواته حتى الأقربين منه مما له المثيل في قانون الغابة، ومع هذا يحاول أن يبدل صنعته، ويبدي على أنه ملتزم، وما هو بملتزم أبدًا[1].

والمبدأ الأخلاقي يقرر أنه إذا كان هناك خيانة، فمن ذا الذي سوف ينال من الطواغيت، من ينال من أصحاب القتل، والقذف، والخطف، بل من ينال من مصالح الأمة، إن كل ما يقع من بلدان العالم لا يدل دلالة واضحة على احتياج الإنسان للدار الآخرة، إن هذا العالم الذي نعيش فيه مسرحًا للهمجية، والقرصنة، والشيطنة، ثم لايلقي الظالم والمظلوم جزاءهما، إن عالمًا من هذا القبيل لا يمكن أن يدوم، ولابد أن ينقى للنقصان الذي فيه إلى الكمال الذي يرتجيه، ولا يكون ذلك إلا في الحياة الآخرة، بل إن الضرورة الأخلاقية تشهد لوقوع اليوم الآخر من الجوانب المتعددة للعدل الإلهي، وبناء عليه لا يكون رفض الوضعية لليوم الآخر قائمًا على أسس واقعية، بل هو قائم على ظنون وشبهات لا ترقي أن تجد لها شأنا في النطاق المعرفي.

(١) الإسلام يتحدي، أ. وحيد الدين خان، صـ٨٦

٣ ـ الضرورة الشـــــرعية:

دلت النصوص الشرعية على أن الحياة الآخرة قائمة، والذي أخبر بها النقل المنزل على لسان الشرع، وهو أعلم بالغيب والشهادة، ولا يخلف أبدًا، ومـــا دام الأمر كذلك فإن الحديث عن الآخرة بكل مكوناتها يعتبر تطبيقًا عمليًـــا للضـــرورة الشرعية المتمثلة في النقول الواردة عن الله تعالى في كتابه وسنته.

٤ ـ الضرورة المعرفيـــــة:

وهي تدور في نطاق الباقي والفاني، فإذا كان الطعام الذي يأكله الإنسان في الدنيا له فضلات، وحين يكون في بطن أمه يأكل ويشرب، ولا تكون له فضـــلات، وإذا كانت الحياة الآخرة فيها تطبيق للصورة الأولى التي يكون فيها الإنسان داخل رحم أمه، والظواهر القرآنية كثيرة، فمن حديثه عن عملية التغذية فـــي الأرحـــام وعدم وجود فضلات مع أن الجنين يتغذى، وينمو مثل قوله تعالى: ﴿هُـــوَ الَّـــذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١). ومحل الشـــاهد أن الجنين في بطن أمه ينمو ويتغذي، يبصر، ويسمع، ومن المؤكد علميًا أن هذا النمو لا بد له من تغذية سليمة، لكن أين تكون فضلات هذه التغذية(٢).

يدل عليه ما ورد أن يهوديًا سأل عمر بن الخطاب ﷺ قائلاً يا ابن الخطـــاب تزعمون أن الجنة فيها أكلاً وشربًا، فأين يتغوط أهلها، فقال لـــه ابـــن الخطـــاب: أرأيت الجنين يتغوط في بطن أمه وهو يتغذى وينمو، وتكون له فضـــلات، فـــأين هي؟ فلم يتمكن اليهودي من الإجابة(٣).

---

(١) آل عمران: الآية (٦).

(٢) لو أن الجنين يخرج فضلات في رحم أمه لامتلأ بطنها بفضلات، ولماتت دون أن تســتكمل حملها، وسوف يحدث لها التسمم ما يجهضها ويؤدي إلى فنائها. راجع: الطفولـــة الناعمـــة، مرحلة ما قبل الولادة، د. محمود فوزي صالح، ص٢٨، ٢٩، ط المهدي ١٩٨٤.

(٣) راجع: الفاروق عمر بن الخطاب بين الإلهام والتجربة العملية، الشيخ/ محمد بـــن عبـــد الله الصالح الورداني، ط دار الميمنة ١٣١٥هـ؛ وراجـــع: عمـــر الفـــاروق وإبداعاتـــه العلميـــة والشرعية، الشيخ/ منصور بن حسن السندوني، ص١٠٥، ١٠٦، ط عناية فرج الله الكردي.

لاشك أن قوانين الآخرة تختلف عن سنن الحياة الدنيا، وكل منهما تدور في إطار السنن التي خلقها الله لها، وبناءً عليه فمنكر الحياة الآخرة ويسعى في استبعادها من الناطق المعرفي إنما يغامر بكافة الجوانب العقلية والنفسية والشرعية والأخلاقية أيضًا، مثله يجب أن لا يلتفت إليه تطبيقًا للقاعدة وهي أن منكر البدهيات لا يمكن التعامل معه.

أضف إلى ما سبق أن الحياة الآخرة ممكنة، وليست مستحيلة طبقًا للأحكام العقلية الثلاثة الواجب، والممكن، والمستحيل.

- **فالواجب هو الموجود الثابت الذي لا يقبل العدم أبدًا وهو الله سبحانه وتعالى الأول والآخر الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.**

وفي ذلك يقول صاحب التعريفات أن الواجب هو الموجود الذي يمتنع عدمه امتناعًا، ليس الوجود له من غيره، بل من نفس ذاته، فإن كان وجوب الوجود لذاته سمي واجبًا لذاته، وإن كان لغيره سمي واجبًا لغيره(١).

إذًا فواجب الوجود لذاته هو مالك الملك، والملكوت هو الحي الأبدي السرمدي الذي لا يموت ولا يغني.

- **المستحيل وهو المعدوم الذي لا يقبل الوجود أبدًا بأي حال من الأحوال؛ لأن وجوده في العدم هو الذي يمنع، ومنه شريك الباري جل علاه، والجمع بين المتناقضين من الجهة الواحدة في الوقت والمكان الواحد فإن ذلك مستحيل لأن سنة الله قد جرت باستحالته(٢). ومما يؤكد على ذلك أن الممتنع بالذات هو ما يقتضى لذاته عدمه(٣).**

---

(١) راجع: التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، باب الواو، ص٢٤٩، ط دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.

(٢) لقد أخطأ الكثيرون ممن أنكروا وقوع المعجزات ظنًا منهم أنها تخالف أحكام العقل، وإنما هي تخالف العادة، والعادة وليست العقل. راجع: العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، الشيخ/ مصطفى صبري، ج٢، ص٣٨، وقد أفاض في شرح تلك الجوانب داخل الأجزاء الأربعة من الكتاب ذاته.

(٣) راجع: التعريفات، للجرجاني، ص٢٣٠

- الممكن وهو الذي يتساوى وجوده وعدمه لذاته، فإن وجد فلابد له من موجد، فإن أعدم فلابد له من معدم، وبالتالي فمساوته في الوجود والعدم يحكم بأنه لا واحد منهما يستقل بالممكن.

والبعث والحياة الآخرة كلها ممكنة وليست مستحيلة، وبناءً عليه فما دام الله قال في أمر اليوم الآخر وجاء به الذكر، فإنه يكون ممكنًا، بل وواقعًا حينما تحين الساعة التي أشارت إليها آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(١).

الثانية ـ الضغط على النصوص الدينية:

حرص الوضعيون على ممارسة أنواع من الضغوط على النصوص الدينية التي وقفوا عليها وهي النصوص المسيحية واليهودية، وبين الطرفين نزاع لم ينقطع، وثأر لم يتم تسويته، فإذا أراد الوضعيون أن ينتقموا من سلطة الكنيسة عن طريق الطعن على النصوص المسيحية، فإن هذا لا ينسحب لآيات القرآن الكريم، ولا السنة المطهرة.

إذ لا عداوة بين تلك النصوص وبين آيات الذكر الحكيم التي فيها صلاح الكون وإعماره، وعليها يدور، وعليها يدور أمره، ويستقر نظامه. وبناءً عليه فعملية الإسقاط ليست قائمة، بل ثابت أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما صمام الأمان، وفيهما الاستقرار والنظام، ثم إن السعي لممارسة أنواع من الضغوط على النصوص الدينية في المسيحية أو اليهودية مع الإضافات التي دخلت عليها وما حذف منها، لا تبرر إنكار الآخرة، وإنما قد تسمح بتوجيه النظر فيما تدلى به تلك النصوص، ليس من الحكمة ولا من الصواب إنكار الآخرة لمجرد مخاصمة

(١) الأعراف: الآية (١٨٧).

أصحاب الدعاوى الدينية المسيحية واليهودية أو الطوطمية؛ لأنها لم تتحدث عن الآخرة الحديث الذي يجب أن ينصب عليها، أو يتم التوجيه عليها(١).

ومتى سلم الوضعيون بأن هناك مشكلات معهم، ومع الذين أخذوا عنهم، فإن هذا لا يتصور وقوعه على وجه العموم، وإنما يجب أن تكون الأمور محددة، فمن أنكر جانبًا ولم يقم عليه دليل عنده لا يصح انفراطه إلى غيره، ثم تقع الإدانة علي غير سبب.

الثالثة ـ إعلاء شأن التجـــربة:

لقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن يكون هناك عالمان على سبيل التمييز بينهما، أحدهما عالم الدنيا، والثاني عالم الآخرة، وجرت سنة الله في أن يكون لكل منهما الأحكام التي تكون معه، والقوانين التي تصح أن يتم تناولها من خلالها، وقد جرى في سنن الله أيضًا أن ما يقع تحت التجربة يختلف عما لا يقع تحت التجربة، فالإنسان جسمه يقع تحت التجربة(٢)، وكثير من الجوانب الإنسانية لا يمكن التجريب عليها، فالعقل، والنفس، والروح، والضمير، ومناطق البغض والحب، أو مناطق القبول والرفض، لا يمكن التجريب عليها. وإذا كان هذا مما خلق الله، فإن اليوم الآخر في نطاق ما لا يمكن التجريب عليه.

يقول أحد المشايخ: أن الله تعالى هدانا إلى معرفة دينه، وهدانا إلى معرفة دنياه، وهدانا إلى كيفية الوصول إلى السعادة في أخرانا، ألا يدل ذلك كله أن يكون

---

(١) الحديث عن الآخرة في اليهودية لا وجود لها، إلا شذرًا. راجع: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فرج الله عبد الباري أبو عطا الله، حيث ذكر تلك الجوانب وعلق عليها، ويذكر أن اليهود يعتقدون بوجود القصاص بعد الموت في القبر، ويطلقون عليه اسم الهاوية. راجع: أسفار العهد القديم صورة مفصلة عنه، ص١٠٠، ط الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر والنور ١٤١١هـ ـ١٩٩١م.

(٢) يصح في الإنسان الاختزال والاختزان،ويصح قياس درجة حرارة جسمه ونبضه وقياسه أطرافه إلى غير ذلك من الجزء المادي سواء على سبيل التعلم والتعليم، أو العظة والاعتبار، وهذا منصوص عليه في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، "البلد: الآية (٨)، (٩)".

من الأدلة على وجوده، بل ألا يدل ذلك على أدلة احترام التمسك بما جاء من عنده(١).

أجل أن مشكلتهم تخصهم، لأنهم حصروا معرفتهم في جانب واحد تصبح فيه التجربة، وأرادوا أن يطبقوه فوق الجميع، وقد فاتهم أنهم بذلك يخالفون المبادئ الأساسية في البحث العلمي، فما طريقة التجربة يثبت بها أو ينفي، وما طريقة الحكم العقلي يجب أن يثبت به أو ينفي، ولكن طريقة النقل المحكم المنزل يجب الالتزام بأحكامه وإلا كان الخارج عليها مخالفًا لقاعدة البدهيات المعرفية(٢).

أخلص مما سبق أن الحديث عن الآخرة يجب الالتزام فيه بما جاء من عند الله، وأن ما جاء إليه الوضعيين لا يتفق مع هذا الذي جاء من عند الله، وبالتالي حسبناهم مما يلحدون بالله، والقاعدة أن من كذب بواحد بأجزاء من العقيدة الإسلامية فقد حكم الله عليه بالكفر، أما أهل الإيمان فهم في روضة من نعيم وريحان تظلهم ملائكة الله وتنير قبورهم، وينعمون في أخراهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٣).

(١) راجع: هذا خلق الله، الشيخ/ النبوي السيد سلطان، ص١٠٨، ١٠٩، ط مكتبة الشباب ١٩١٧.
(٢) راجع: صنع الله الذي أتقن كل شيء، الشيخ/ عبد الحكيم بن علي بن زكريا الحنفي، ص١٤١، ١٤٢، ط مكتبة الاستقامة ١٩٤٧م.
(٣) القمر: الآيتان (٥٤)، (٥٥).

الخاتمة

إذا كانت الأمور بخواتيمها فقد نبه الرسول ﷺ إلى الخواتيم الحسنة، ومن دعائه ﷺ اللهم أختم بخاتمة الخير ولا تختم لنا بخاتمة الشر، اللهم أختم بخاتمة السعادة، ولا تختم بخاتمة الشقاوة.

ومن ثم فالخاتمة تمثل القيمة النهائية للبحث، وتشمل أهم النتائج وأبرز التوصيات، بجانب أهم المقترحات، وسوف ألمح إليها فيما يلي:

أولاً ـ أهم النتائج:

١ـ أن الوضعية ليست لهم قواعد ثابتة ينطلقون منها بحيث يمكن الاحتكام إليها، أو الوقوف عليها، وإنما هي ظنون وتوهمات ساقوها مساق المؤكدات، وبنوا عليها أوهامًا، وهي رمال وكثبان لا تنهض أمام البحث العلمي، فلا يمكن أن تقوم الصروح العلمية على الخيالات والأوهام.

٢ـ أن الوضعية أيًا كانت صورتها يعاني أفرادها مشكلات نفسية، ومعرفية، وأخلاقية، ومجتمعية، ودينية، وكان عليهم أن يبحثوا عن حلول مما يعانون من مشكلات، بدلاً من أن يصدِّروها إلى الآخر، فهو دليل على عجزهم العلمي، وخروجهم عن المنهج الذي يجب إتباعه والسير فيه، ومثل هؤلاء في دنيا الناس كثيرون، وليست العبرة بالكثرة العددية، وإنما هي بالقيم الإيجابية أو السلبية، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(١).

٣ـ أن الوضعية المنطقية ورجالها الذين تصدوا للجوانب العقدية سقطوا في عمليات التناول للقضايا الميتافيزيقا بدليل أنهم لم يفرقوا بين التأملية التي تتناول القضايا العقدية، وعلى الأخص عقيدة الألوهية، وبين النقدية التي يصح أن تطبق في الحياة الواقعية، وهذا الخلط سواء أكان مقصودًا، أو غير مقصود، فإنه قد ترتب عليه مخالفة القواعد المنهجية، كما تخالف المناهج

(١) الزلزلة: الآيتان (٧)، (٨).

المعرفية، ومن ثم تعتبر كل دعواهم ساقطة لا مجال لها من الناحية المعرفية أو العقدية.

٤ـ أن الوضعية حينما أنكروا وجود الله، فقد ترتب عليه اعتبارهم أنهم غير موجودين؛ لأن العاقل يعلم أن له مبدأ من الله، ومنتهاه إلى الله، فإذا علم صاحب المبدأ والمنتهى لا وجود له، فمن الأولى أن صاحب الزعم نفسه لا وجود له، ومن ثم حكموا على أنفسهم أنهم ليسوا موجودين، مع أنهم يأكلون، ويشربون، ويتناسلون، ويعيشون، والقرآن الكريم قد ساقهم وأمثالهم لأنهم اعتبروا قضايا العلم هي إلاههم وذلك في قوله تعال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٢).

٥ـ أن الوضعية المنطقية أدخلوا أنفسهم في ضوائق فكرية، عقولهم ليست مهيأة لها فحكموا على أنفسهم بأنهم غير عقلاء، أما لماذا؟ فلأن العقل السليم نور وروحاني خلق الله العبد مزودًا به من خلاله يدرك العلوم الضرورية والنظرية، والفرق بينهما واضح، فإذا لم يدرك أن له إلهًا رازقًا قادرًا حيًا له كل صفات الجمال والكمال والجلال والإكرام، فقد بان أنه ألغي عقله، وتنازل عنه لغيره، فصار كالببغاء يردد ما يدلي له غيره به، ولا يقلل ذلك من عقيدة الألوهية سواء اعترفوا أم لا؛ لأن وجود الله حقيقة ثابتة، بل هو حقيقة الحقائق وما سواها تبع لها.

٦ـ أن وجود الله تعالى هتفت به الكائنات كلها، وسبحت به الأرض والسماوات، بل كل ما في الكون أعلن وجوده وتوحيده وما له من صفات الجمال والكمال والجلال والإكرام، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن

(١) الفرقان: الآية (٤٣).
(٢) الجاثية: الآية (٢٣).

فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(١).

٧ــ أن الوضعية حاولوا الفصل بين الدين والدنيا، بين لغة الكنيسة، ولغة العلم، أما لماذا؟ لأن لغة الكنيسة قد أوقعتهم في حرج مع لغة العلم، وصار كل منهما يكذب الآخر، فصار كل طرف يؤازر الجهة التي جاء منها، ويعلن رفضه للأخرى المخالفة له، بينما ذلك لا يتفق مع دين الإسلام، ولا ينسحب حكمه عليه، وبهذا كل الدعاوى والشبهات التي تمسك بها الوضعيون وجملة الملحدين لا تنصب على ما ذكره دين الإسلام.

٨ ــ أن إنكارهم للروح يقضي على نهاية الوجود، إنما هو إنكار الوجود نفسه وهذا الإنكار للروح فيه اعتراف بوجودها؛ لأن الروح لو لم تكن موجودة لبحثوا عنها، وأما وإنهم يحالون إنكارها فما ذلك إلا لاعترافهم بوجودها، والله تعالى قد نبه إلى أن البحث في حقيقة الروح ليس من إمكانيات العقل البشري، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (٢).

٩ ــ أن الروح لها حقيقة ثابتة يعلمها من خلقها، وقد أخفى سر تلك الحقيقة عن كثير من الخلائق، وهو صاحب الملك والملكوت، وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، وهو الكبير المتعال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وبناء عليه فالوضعية حينما أصروا على إنكارها فقد أعلنوا الحرب على ما جاء من عند الله وهم الخاسرون ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٣).

---

(١) الإسراء: الآية (٤٤).
(٢) الإسراء: الآية (٨٥).
(٣) المجادلة: الآية (١٩).

١٠ــ أن إنكارهم لليوم الآخر لم يكن على دليل تجريبي، وهم الذين يبحثون عن الأدلة التجريبية أن توضع في النطاق التجريبي، وتتم العمليات عليها، فإذا كانت النتائج مؤكدة عليها قُبلت، أما إذا جاءت مخالفة لها ترفض، فهل استطاع هؤلاء الوضعيون أن يأتوا باليوم الآخر إلى المعمل التجريبي الذي يزعمون وجوده، وأقاموا التجريب عليه، أم أنهم يجادلون بغير علم، ويسيرون إلى غير هدف،ومع ذلك يزعمون أنهم من أولى القلم هنا تستقيم الدعوى الكذوب في عقول الناس مع أنها لم تقم عليها دليل أو شبهة دليل.

١١ــ أن الوضعيون يرفضون الاعتراف بوجود ما ليس بمحسوس، فإنهم يخلطون بين الأمور خلطًا مقصودًا، ويذهبون مذاهب الشطط بكل ما وسعهم، إذ العقل يقرر أن في الإنسان نفسًا، وعقلاً، وجسدًا، وروحًا، وأحلامًا، وآمالاً، وأحزانًا، وأفراحًا، وهي كلها متباعدة عن بعضها في أعمال، فليس ما تفعله اليد أو القدم هو نفس ما يفعله العقل والضمير والنية، وإلا ما كان لكل واحد منهم اسمه الذي يخصه، ووظيفته التي يقوم بها، ما أظن عاقلاً يغفل عن وجود الفوارق الكثيرة بين هذه وتلك.

١٢ــ أن حقائق الكون ثابتة، وحقائق الأشياء ثابتة، كما هي في سنن الله الكونية، والنباتية، والفضائية، وغيرها والمنكر لها سوفسطائي بعد أن تحقق من القول فيها، ولا يخفى أن الذي ينكر الحقائق الأساسية الثابتة يعلن عن خلل في فكره، وضعف في عقله، وخروج على ربه وشرعه، والله لا يهدي القوم الظالمين.

ثانيًا ــ أبرز التوصيات:

١ ــ ضرورة السعي إلى ما أنتجه العقل الإنساني في التراث المعرفي بأنواع مختلفة ووضع ضوابط آلية في التعامل مع هذا المنتج من الناحية الشرعية، فليس من العدل أن تظل رحم العلم هكذا، فكل يوم تقدم أفكارًا بعضها نظرية وأخرى عملية قد يحدث بينها احتكاك للمسائل العقدية،

ونقف منها كالمتفرج، حتى إذا وقعت الواقعة راح الكل يصرخ ويستجير، وكان من الأولى أن نقاومها قبل أن يعلو الشر ويستقيم.

٢ـ ضرورة متابعة النتائج العلمية في إطارها الفلسفي والتركيز على قربها من العقيدة الإسلامية، أو بعدها عنها، فليس من الصواب المعرفي أن نظل في قراءة متواصلة لأفكار الفلاسفة تبلغ منا حد الإصغاء، والتقديس، وندّرس ذلك لطلابنا، وبعد أن نقطع شوطًا، نفاجئ بخروج هذا الفيلسوف على القواعد، والأحكام الشرعية، فإذا أردنا أن ننبه الطلاب إلى ما أمكننا الوصول إليه فوجئنا برفضهم لتلك النتائج واتهامهم لنا بالتضليل، ولسان حالهم يقول إذا كنتم تعرفون ما في هذا العسل من سم فلم أتحتم لنا فرصة أن نأخذ منه حتى السمالة، وأنتم أولياء أمورنا ألم تكونوا أمناء علينا، حينئذ يقع بيننا وبين الأجيال التي تلتقي معنا خصومات نكون نحن الطرف الأضعف فيها، ومشكلات تؤرق كافة الجوانب، وكنتا نأمل أن يأتي الخير فيها.

٣ـ قراءة أفكار الآخرين وهضمها قبل تقريرها على طلابنا حتى نتفادى المشكلات قبل وقوعها، ونسعى لتحرير العقول قبل استعبادها، فكثيرًا ما قرأوا عن نيتشه، وهيدجر، وكانت، وديكارت، إلى غير ذلك من الأدباء والفلاسفة والفنانين وغيرهم من الغرباء، وطاروا بهم فرحًا كأنهم عثروا على كنوز تقدم لهم من العلم والمعرفة ما يجعلهم نجباء حتى إذا صاروا ربائب لهم طعنونا في ديننا، وتحولوا إلى خصوم لنا، وكان علينا أن نتعامل معهم بالدواء قبل الداء، وأن نخرجهم من أزمتهم قبل أن يستفحل فيهم وينال منهم.

٤ـ ضرورة صياغة الأفكار الفلسفية التي قال بها هؤلاء، ثم معالجة كل جزئية منها على ناحية علمية تبرز الجانب الذي يستحق الاستيفاء منه وتعلق على ما فيه القصور، وتبين ما به من جوانب وفاء، فلإن قام الباحثون

بذلك، فقد حققوا للعلم أحد واجباته، ولن نقول ضاع العلم وما بقي له مقام.

٥ــ ضرورة الاعتناء بالمدارس الفلسفية الحديثة والمعاصرة، ووضعها في إطار تقييمي ثابت ينهض بذلك شباب متحمس، تكون غايتهم محددة وواجباتهم محددة، يوفرون على زملائهم جانبًا كبيرًا من البحث، ويقدمون للدارسين ما يشبه الأفكار المركزة، وبيان أوجه القصور فيها، وأوجه الكمال فيها، ثم ينبه إلى طريقة المعالجة في موضعية علمية، وبيان لابد معه من دليل لا يحتاج بعده إلى حديث أو بيان.

ثالثًا ــ أهم المقترحات:

١ــ الوضعية في ثوبها المعاصر: دراسة تحليلية.

٢ــ الوضعية أنواعها ومشكلاتها: دراسة تاريخية.

٣ــ الحركة العاقلة في الوضعية وكيفية استثمار طاقاتها في النواحي الإيجابية.

٤ــ عمليات الإسقاط لدى الفكر الوضعي.

٥ــ أثر الوضعية في تنمية الخلافات المجتمعية.

أهم المصادر والمراجع

أولاً ــ المصادر:

- **القرآن الكريم وعلومه.**

القرآن الكريم ــ جل من أنزله.

١ــ أحكام القرآن الكريم، الإمام محمد بن عبدالله أبو بكر بن عربي الأشبيلي (ت:٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد علي البيجاوي، ط الحلبي.

٢ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن المرعشلي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣ــ إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، الإمام أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)، ط دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٤ــ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر عاشور التونسي (ت:١٣٩١هـ)، ط الدار التونسية للنشر ــ تونس.

٥ــ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي البصري (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ــ١٩٩٩م.

٦ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن السعدي (ت:١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

٧ــ الجامع لأحكام القرآن الكريم، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي (ت:٦٧١هـ)، ط دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية.

٨ــ جامع البيان في تأويل آي القرآن الكريم،محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد بن شاكر، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ــ٢٠٠٠م.

٩ــ فتح القدير، محمد بن علي بن محمد عبدالله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، ط دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٠ــ في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب إبراهيم حسين، ط دار الشروق.
١١ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.
١٢ــ لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين بن محمد بن إبراهيم عمر الشيحي المعروف بالخازن (ت:٧٤١هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٣ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت:٧١٠هـ)، تحقيق: علي بديوي، ط دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ــ١٩٩٨م.
١٤ــ مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

- الحديث وعلومه:

١٥ــ صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الإمام محمد إسماعيل أبو عبدالله البخاري (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
١٦ــ صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، الإمام أبوالحسين مسلم بن حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث العربي.

المعاجم:

١٧ــ قطر المحيط، بطرس البستاني، ط بيروت.
١٨ــ القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٩ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠ــ مقاييس اللغة، ابن فارس، ط بيروت.

ثانيًا ــ المراجع:

٢١ــ أساس البلاغة، الزمخشري، ط الشعب.

٢٢ــ أسس الفلسفة، د. توفيق الطويل، ط دار النهضة، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.
٢٣ــ الآلهة الزائفة ــ جورج آير، ترجمة: يوسف رشدي، ط الجيل ١٩٨٤م.
٢٤ــ الآلهة المقدسة ــ جورج بيتر، ترجمة: السيد رزق، الطبعة الأولى، مكتبة المنتزة ١٩٩٧م.
٢٥ــ الأصولية اليهودية ومشكلاتها المعرفية، جورج هيمان، ترجمة: محمود زكريا، ط القاهرة ١٩٦٤م.
٢٦ــ الأصولية اليهودية، إيميل هيما، ترجمة: سعد الطويل، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب.
٢٧ــ الأصولية الوجودية، ديفيد لاندو، ترجمة: مجدي عبدالكريم، ط مكتبة مدبولي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ــ١٩٩٤م.
٢٨ــ الألوهية من منظور ملحد، جورج بوتر، ترجمة: عادل زكريا، ط مكتبة المقطم ١٩٨٥م.
٢٩ــ الإبانة عن طريق القاصدين والكشف عن مناهج السالكين، الإمام أبي بكر محمد بن حسن بن فودك، تحقيق: د. السيد أحمد عبدالغفار، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.
٣٠ــ الاتجاه الوضعي في العالم المعاصر، أ.ج روبرت بنسون، ترجمة: السيد صقر، ط الجبل١٩٧٦م.
٣١ــ الاتجاه الوضعي، أ.ج روبرت بنسون، ترجمة: صلاح فضل، ط دار الحرية ١٩٧٧م.
٣٢ــ الإله أنا، أ.ب جورج بورو، ترجمة: شوقية السيد صالح، ط بيروت ١٩٦٥م.
٣٣ــ الإله ياهو حركة خداع متواصلة، بيتر بيير، ترجمة: ناشد فخري، طبعة الموصل ١٩٧٤م.
٣٤ــ الاتجاه الوضعي المعاصر: دراسة في الفكر الإنساني، إنطوان بلي، ترجمة: عادل زكريا، ط مكتبة وفاء، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
٣٥ــ الإسلام يتحدى: مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، ط الرابعة ١٩٧٣م.

٣٦ــ التراث المسيحي بين الأوهام والحقيقة، د. محسن فراج، الطبعة الثانية، دار النيل.
٣٧ــ التيارات الفكرية المعاصرة، د. محسن علي السيد، ط دار الجيل ١٩٨٥م.
٣٨ــ التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٩ــ تلخيص كتاب النفس، ابن رشد، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م.
٤٠ــ الحركة العاقلة في الفكر الإنساني وقضية الألوهية وجهًا لوجطه، إيميل شوفال، ترجمة: عبدالغني السيد طه، ط الكرنك ١٩٧٤م.
٤١ــ خرافة المنطقية الوضعية، د. ماهر عبدالقادر، ط دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣م.
٤٢ــ الديانات القديمة، هنري فاوتس، ترجمة: السيد السيد مهدي، ط دار الأقصى بالمغرب، الطبعة الأولى ١٩٦٥م.
٤٣ــ زعماء الفلسفة الحديثة والمعاصرة، د. محمود عبدالعظيم النمر، ط مكتبة المستقبل ١٩٨٤م.
٤٤ــ زعماء الفلاسفة وكيف نفهمهم، جيمس فرانس، ترجمة: يسري هاني الدكر، ط مكتبة النهضة ١٩٧٨م.
٤٥ــ زعماء الفلسفة الحديثة والمعاصرة، في ميدان الإلحاد، د. السيد المعاطي السد، ط دار النهر ١٩٨٧م.
٤٦ــ السوفسطائية والاتجاهات المعاصرة، د. مصطفى الخشاب، ط مكتبة فوزي ١٩٧٤م.
٤٧ــ صليب المسيح، جون ستوت، ترجمة: نجيب كركور، ط مكتبة دار الثقافة.
٤٨ــ صنع الله الذي أتقن كل شيء، الشيخ عبدالحكيم بن علي بن زكريا الحنفي، ط مكتبة الاستقامة ١٩٤٧م.
٤٩ــ الطفولة الناعمة مرحلة ما قبل الولادة، د. محمود فوزي صالح، ط المهدي ١٩٨٤م.
٥٠ــ علم الاجتماع ومشاكله، ترجمة: يوسف فخري، ط مكتبة نصر ١٩٧٤م.

٥١ــ الفكر الإنساني أصوله ومستوياته، الشيخ/ عبدالعزيز بن حسن بن عبدالعزيز بن زاهر المنيلاوي، ط مكتبة المليجية.
٥٢ــ الفيزياء والفلسفة، جيمس جينز، ترجمة: جعفر رجب، ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٨١م.
٥٣ــ الفلسفة الحديثة المعاصرة: مشكلات وحلول، د. صالح سيد صالح، الطبعة الثانية، مكتبة الشروق ١٩٧٥م.
٥٤ــ الفلسفة الحديثة، د. عبداللطيف محمد نصر الله الفقي، ط ١٩٥٧م.
٥٥ــ فلسفتي، وليد فج، ترجمة: السيد رزق، ط دار الجيل ١٩٨٥م.
٥٦ــ الفاروق عمر بن الخطاب بين الإلهام والتجربة العملية، الشيخ/ محمد بن عبدالله الصالح الورداني، ط دار الميمنة ١٣١٥هـ.
٥٧ــ كتاب النفس، ابن باجة، ط دمشق ١٣٧٩هـ ــ ١٩٦٠م.
٥٨ــ المدخل إلى المنطق الصوري، د. محمد مهران رشوان، ط دار قباء للنشر والتوزيع بالقاهرة.
٥٩ــ المنطق التوجيهي، د. أبو العلاء عفيفي، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨م.
٦٠ــ الميتافيزيقا من منظور فلسفي، د. محمد السيد أبو سلطان، ط مكتبة وحيد ١٩٦٥م.
٦١ــ محاكم التفتيش، د. رمسيس عوض، ط دار هلال ٢٠٠١م.
٦٢ــ المعرفة الإنسانية أصولها وتطورها، د. السيد علي الشحات منصور، ط بيروت ١٩٨٥م.
٦٣ــ المواقف في علم الكلام، عضد الله الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، ط مكتبة المتنبي بالقاهرة.
٦٤ــ المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ليبنتز، ترجمة: د.عبدالغفار مكاوي، ط دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٨م.

٦٥ــ مقال عن المنهج، ديكارت، ترجمة: محمود محمد الخضيري، ط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
٦٦ــ المعتبر في الحكمة الإلهية، أبو البركات هبة الله بن علي بن مالكا البغدادي، ط دار بيبليون جبيل، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ.
٦٧ــ المملكة الأخلاقية في التراث الإنساني، إيفين جورج بيتر، ترجمة: يوسف زكريا، ط مكتبة الأقصى ١٩٩٥م.
٦٨ــ محاضرات في العقيدة الإسلامية، د. سليمان سليمان خميس، ط مطبعة عطايا بالقاهرة ١٩٦٣م.
٦٩ــ المعرفة الإنسانية وعلاقتها بالآيات القرآنية، د. يسري حسن خالد، ط مكتبة الوادي الجديد ١٩٨٥م.
٧٠ــ موعظة الجلجثة، القس بهجت صموائيل، طبعة كنيسة الأنبا بولس ١٩٨٥م.
٧١ــ موعظة الجبل، أنور مقاريوس، ط كنيسة الشهيد ماري جرجس، أسبورتنج ١٩٨١م.
٧٢ــ نظرات في كتاب الله، الشيخ/ محمد بن علي بن محمد الرهواني، ط المليجية بالقاهرة ١٣١٧هـ.
٧٣ــ نظرية المعرفة، د. محسن السيد طلبة، ط مكتبة رزق ١٩٨٥م.
٧٤ــ نظرات في الفلسفة الحديثة، د. أحمد عبده حمودة الجمل، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.
٧٥ــ هذا مذهبي، كوندرسيه، ترجمة: عادل لطفي، ط مكتبة الأقصى ١٩٧٣م.
٧٦ــ هذا خلق الله، الشيخ/ محمد نبوي السيد سلطان، ط مكتبة الشباب ١٩١٧م.
٧٧ــ الوضعية في صورها المعرفية، أ.ج بايتي أندرسون، ترجمة: راشد زكريا، ط دار النهر الخالد ١٩٨٤م.
٧٨ــ الوضعية قديمًا وحديثًا، ترجمة: ناهد محمد صبري، ط دار الكرنك ١٩٧٥م.
٧٩ــ الوضعية الأصولية والغايات،جورج هايد ثورك،ترجمة:رمزي صبحي١٩٦٩م.

٨٠ــ الوضعية الأهداف والغايات، جيمس بلانت، ترجمة: هناء رشدي، ط دار الجيل، بيروت ١٩٨٧م.
٨١ــ الوضعية في مراحلها الأولى، د. محمد سيد صقر، الطبعة الأولى، مكتبة رشدي ١٩٥٧م.
٨٢ــ الوضعية في الإطار الفلسفي، د. سامح محمد صابر، ط الأولى، مكتبة منشأة الحرية ١٩٨٥م.
٨٣ــ الوضعية المنطقية وآثارها العملية، د. محمود رمزي علي، ط مكتبة الأقصى ١٩٧٧م.
٨٤ــ الوضعية في أثوابها المعاصرة، د. فوزي محمد نصر الطويل، ط مكتبة التوفيق ١٩٧٤م.
٨٥ــ الوضعية والمذهب الفلسفي، بايتي أندرسون، ترجمة: ناهد رشدي، ط دار الثقافة ١٩٨٥م.
٨٦ــ الوضعية وأنا حياة مشتركة، أنطوني توماس، ترجمة: عادل فوزي، مراجعة: د.أحمد طنطاوي، ط مكتبة رشدي ١٩٧٥م.
٨٧ــ الوضعية ومشكلاتها الإنسانية والمعرفية، ألفونس جينز، ترجمة: علاء فضل الله، د. مكتبة الحرم ١٩٨٦م.
٨٨ــ الوضعية الاجتماعية ودور كايم، جورج بلانت، ترجمة: مصطفى خضير، مطبعة القومية ١٩٨٣م.
٨٩ــ الوضعية بين المعقول واللامعقول، د. محمد حسيني موسى الغزالي، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦م.
٩٠ــ الوضعية بين الدين والفلسفة، مأمون حسن المأمون، ط مكتبة الهدى ١٩٦٧م.
٩١ــ الوضعية رسالة تدميرية، د. بيومي السيد رمضان، ط مكتبة نهر النيل ١٩٨٤م.
٩٢ــ الوضعية وقضية العلم، د. فايز عبد البديع صبري، ط دار فواز، الطبعة الأولى.
٩٣ــ الوحي المحمدي، الشيخ/ محمد رشيد رضا، ط المنار.

٩٤ــ الواقعية في الفلسفة الوضعية ومشكلاتها الميتافيزيقا اللاهوتية، جورج بلانت، ترجمة: حنان راشد، ط دمشق ١٩٧٥م.
٩٥ــ الوضعية والمشكلات الميتافيزيقية، جون آير، ترجمة: حسن شكري، ط القاهرة ١٩٧٥م.
٩٦ــ الوضعية وأنا، إنجلز جراهان، ترجمة: هدى فوزي، ط مكتبة القدس ١٩٨٥م.
٩٧ــ الوضعية والمشكلات المعاصرة، جورج بيرمن بلانت، ترجمة: السيدة عبدالعزيز سليمان، ط مكتبة الأقصى ١٩٨٤م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة.	٢٨٣٩
المبحث الأول: الوضعية بين المفهوم والتنوع.	2844
المبحث الثاني: موقف الوضعية من وجود الله.	٢٨٦٣
المبحث الثالث: موقف الوضعية من قضيتي الروح والخلود.	2878
الخاتمة.	2906
أهم المصادر والمراجع.	2912
فهرس الموضوعات.	٢٩٢٠